

دكتور

مغاورى عبيد منصور

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المساعد
كلية الدراسات الإنسانية للبنات
فرع جامعة الأزهر بتفهنا الأشراف

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠٢م

مقدمه

بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله رب العـــالمين ، والصـــلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبـــه أجمعين .

وبعد ،

فإن الحضارة الإسلامية التى أسستها دولة الإسلام الأولـــى فـــى عصرها الزاهر ، قد مثلت أروع ما أنتجه الفكر الإنسانى المســـتقيم ، فى مجال رقى الإنسان ورفاهيته ، وما تزال هذه الحضارة الإســـلامية حتى الآن ، ونحن فى بداية ألفية ثالثة ، هدفا منشودا ، وغاية مرجوة ، لإخراج البشرية من عقالها المادى ، ونظريات العلمانية والإلحاد التـــى تحكم مناهج حياتها .

هذه وجهة نظرى ، ووجهة الكثير من المتأملين لحقائق التـــاريخ، مسلمين كانوا أم غير مسلمين؛ أو هى الحقيقة الباقية فى ذاكرة التاريخ. فالمتأمل لهذه الحقيقة من المسلمين ، يدرك أنها ســـبيل النجـــاة ، ولا سبيل غيرها لاستنهاض عزائم الأمة وإفاقتها مما غيبت فيه من نكبـــات العصر ، مثل المادية الطاغية ، والعلمانية المنكـــرة، والإغـــراق فـــى الإباحية الأثمة .

ومن ثم ، فلا يصح أن يظل المسلمون يتباكون علـــى ماضيـــهم الزاهر ، وحضارتهم الغابرة ، كما لا يصح أن يظلوا مكتفين بالافتخار

بحضارة الأجداد مباهين بها بين أمم اليوم التى تدعى الكمال فى كل شئ ، وأن حضارتهم " الغربية " هى أم الحضارات . إنما يجب على المسلمين ــ إن أرادوا أن يبعثوا من جديد أو يفيقوا من سباتهم ــ أن يعمدوا إلى أصولهم الحضارية ، وهى باقية وراسخة بحمد الله فينشطوا بها ، ويتفاعلوا معها ، بدلا من هذا الذوبان فى هوامش حضارة الغرب التى يجنون أقل ثمارها ، ويحوزون أكثر سيئاتها ، ولن يكونوا أبدا مبدعين فيها ، ولا منتمين إليها ، بل سيبقون دائما مهمشين ، قابعين فى منطقة الظل غير الوارف •

وأما من تأملوا فى حضارة الإسلام من غير المسلمين ــ وبخاصة المنصفين منهم ــ فقد أدركوا أيضا مدى ما قدمته تلك الحضارة فى خدمة البشرية ، ورفاهة حياة الإنسان ، وأقروا بفضل المسلمين على الغرب فى كل أسس ونظريات العلم والرقى البشرى، لكن لا نتوقع من هذه الفئة الآن أن يقفوا فى وجه أممهم فى الغرب يدعونهم إلى الإنسحاب من واقعهم الحضارى المعاصر ، للعودة إلى الحياة فى عصر حضارة الإسلام الأولى التى أفل نجمها ، كما لا نتوقع منهم أن يظلوا يُقنعون أممهم بأن أصولهم الحضارية إنما ترجع إلى حضارة الإسلام الأولى ، وأن الفضل للإسلام وحضارته عليهم دائم أبد الدهر •

ولا يجب ــ أيضا ــ أن تنحصر جهودنا نحن المسلمين فى دحض دعاوى الغربيين ومطاعنهم على الإسلام وتاريخه وحضارته ،

ورصد وجهات ذلك الفريق الغربى الذى تخصص فى التقليل من شأن كل ما هو إسلامى ، والتعظيم من شأن كل ما هو غربى ، فذلك ــ أيضا ــ عمل لا جدوى من ورائه ، ولا فائدة ترجى منه ، إلا ضياع الوقت ، وكثير من الورق والحبر والزمن .

ومن ثم فقد قصدت بهذه الدراسة أن أذكر ببعض معانى وملامح حضارتنا الإسلامية ، وأشير إلى بعض من رؤى الغرب الصادقة تجاهها ، من خلال وجهة المنصفين من مستشرقيهم ، ثم أشير وألفت الانتباه إلى ذلك الاتجاه المعاكس الذى يعمل بدأب على طمس ملامحنا الحضارية ، والزهو دائما بمنجزات حضارة الغرب ، واعتبارنا على الدوام شعوبا أخرها الإسلام أو تخلفت به .

وبين هؤلاء وأولئك " المادحين والطاعنين " سنبقى نحن المسلمين ــ إن لم نفق ، أو نتماثل للفواق ــ نطرى عمل المادحين شكرا لهم عليه ، ونبغض الطاعنين وكيدهم ذما لهم ، وغضبا منهم ، ونحن فى مقاعدنا التى لا تتحرك بنا إلا إلى أسفل ، كأنما قد نصبت فى الرمال ، بينما سائر الأمم من حولنا تأخذ طريقها إلى عل درجة تلو الأخرى ، وصدق الشاعر حين قال :

ليس الفتى من يقول كان أبى   إن الفتى من يقول ، ها آنذا

وقد يسائلنى البعض قائلا : ما أكثر ما كتب فى هذا المجال ، وما أكثر ما نودى بمثل ما تدعو إليه فى هذه الدراسة ، فما الجديد

عندك إذن؟ فلا أملك بصدد هذا إلا أن أقر بأن سلاحى هـــو قلمـــى ، وميدانى هو الفكر ، ولست أدعى أننى أملك أكثر من هـــذا ، فلعلـــها تكون صيحة وصرخة مدوية ، تذكر الأجيال الحـــاضرة بمـــا خلفـــه الأجداد ، وتوقظها من طول السبات •

ولعلها ــ أيضا ــ تكون لفتة لأجيال أمتنا الحاضرة، تلك الأجيال التى انبهرت بما تراه من منجزات الغرب المادية ، فى ظـــل تـــوارى آثار الحضارة الإسلامية ، حتى لا تفهم هذه الأجيال أن لا حضـــارة إلا الحضارة الغربية ، وحتى لا يصيبها الإحباط حينما تحس بأنـــها فـــى سبيل التطور الحضارى لا شئ •

ومن ثم فقد قصدت إلى بيـــان مفـــهوم الحضـــارة الإســـلامية وخصائصها ، ثم عرفت ببعض سماتها ومميزاتها ، كى يتبين القـــارئ شيئا يعينه على الحقيقة قبل أن يلتقى بالفكر الغربى فـــى مناقشـــاته . وناقشت ما يفتعله الغربيون الآن ، وما يسمونه بصراع الحضـــارات ، وعليه أكدت على تواصل الحضارة الإســـلامية بالحضـــارات التـــى سبقتها، ثم كيف كانت آثارها من بعد فى شعوب الغرب الذين تحضروا بها ، ثم أخذوا يتنكرون لها ، بل ينكرون كافة آثارها ومنجزاتها . وإن كان هذا العمل لا يفى إلا بالقليل فى هذا الباب ، لكنه ــ على الأقـل ــ محاولة مسبوقة ومتبوعة بإذن الله حتى تصل كلمتنا إلى مـــن نصبـــوا أنفهم أعداء لنا ولأمجادنا •

وأمتنا الإسلامية بفضل الله قادرة على استيعاب الموقـف وإدراك الحقيقة ، ولديها من المقومات والأسس ما يكفل لـــها الوصـــول إلـــى غايتها فى إثبات الذات ، وإحياء مجد الآباء إن هى أرادت ذلك .

والله من وراء القصد وهو الهادى إلى سواء السبيل ،

د. مغاورى عبيد منصور

الحضارة الإسلامية

[مفهومها وخصائصها]

تعريف الحضارة بوجه عام:

لم يتفق الباحثون فى التاريخ ، ولا علماء الاجتماع والحضارة ــ حتى الآن ــ على تعريف عام للحضارة ، وإنما اختلفت تعريفاتهم لـــها باختلاف أقطارهم ومذاهبهم وعصورهم ، فمنهم مـــن يراهـــا عقيـــدة وسلوكا توفر للإنسان السعادة والرفاهية ، ومنهم مـــن يضيـــف إلـــى العقيدة والسلوك عناصر أخرى ، مـــن ازدهـــار اقتصـــادى ، وتقـــدم صناعى ، ورقى عمرانى ، ونظام اجتماعى ، وغيرها[١] .

ومنهم من عرف الحضارة بأنها جهد البشر فى شتى الميـــادين ، وجعلها شاملة ومحيطة بكثير من جوانب الحياة ، بمعنى أنها كـــل مـــا ينتجه النشاط العقلى للإنسان من إبداع وابتكار فى كل أوجه الحياة.

ومنهم من قال إن الحضارة لفظة نطلقها على التقـــدم والرقـــى الإنسانى، فى مختلف الميادين، كاللغة، والأدب ، والفنون، والصناعـــة، والتجارة ، وغير ذلك من مظاهر النشاط الإنسانى ، الذى يؤدى إلـــى التقدم والرقى ، وتيسير السبل إلى حياة إنسانية كريمة[٢].

---

(١) توفيق يوسف الواعى (الدكتور) : الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضـــارة الغربية ، ص٢٥ ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، المنصورة ١٩٨٨م.

(٢) طه ندا (الدكتور) : فصول من تاريخ الحضـــارة الإســـلامية ص٩ ، دار الجامعات المصرية ، الإسكندرية (د . ت) .

وقد أوضح ابن خلدون مفهوم الحضارة على أنها ذلك النمط من الحياة المستقرة ، والذى يناقض البداوة ، فينشئ القرى والأمصار ، ويضفى على حياة أصحابه فنونا منتظمة من العيش والعمل والاجتماع والعلم والصناعة وإدارة شئون الحياة والحكم ، وترتيب وسائل الدعة وأسباب الرفاهية[١].

أما "ول . ديورانت"[٢]، فقد عرف الحضارة بأنها نظام اجتماعى يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافى ، وتتألف الحضارة من عناصر أربعة : الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية ، والتقاليد الخلقية ، ومتابعة العلوم والفنون ، وهى تبدأ حيث ينتهى الاضطراب والقلق ، لأنه إذا ما أمن الإنسان من الخوف تحررت فى نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء ، وبعدئذ لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضى فى طريقه إلى فهم الحياة وازدهارها ٠

والحضارة فى أصل اللغة تعنى إقامة مجموعة من الناس فى الحضر ، أى فى مواطن العمران ، سواء كانت مدنا أو حواضر أو قرى، ولكن هذا المعنى توسع عند المؤرخين والباحثين الاجتماعيين

---

(١) ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد) ت ٨٠٨هـ : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ١ / ١٠٧ ، تحقيق د/ على عبدالواحد وافى ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة (د . ت) ٠

(٢) قصة الحضارة ١ / ٤ ترجمة د/ زكى نجيب محمود ، مطابع الدجوى القاهرة ١٩٤٩م ٠

حتى صار شاملا لجميع أنواع التقدم والرقى الإنسانيين ، لأنهما لا يزدهران إلا عند المستقرين فى مواطن العمران[١].

فمن كل هذه التعريفات السابقة ، يتضح أن الحضارة لا تنشأ إلا من اجتماع النوع الإنسانى واستقراره وإنتاجه المتنوع ، فليس فى استطاعة فرد وحده أن يهيئ لنفسه وسائل معاشه إلا بمعاونة أخيه الإنسان ، كما لا يمكنه أن يدافع عن نفسه إلا بالاستعانة بأبناء جنسه ، فإذا ما اطمأن الإنسان على حياته مع إخوانه من بنى البشر ، بدأت بذلك إبداعاته الحضارية ، وأخذت فى النمو والازدهار[٢] ، ومن ثم يصبح من أهم صفات الحضارة أنها تحطم حاجز الزمان ، باحتوائها فكرة الخلود ، وتحطم حاجز المكان ، باحتوائها كل الأجناس والجماعات البشرية[٣].

الحضارة الإسلامية :

وأما إذا أردنا تعريف الحضارة الإسلامية ، فإنها بالإضافة إلى التعريفات السابقة للحضارة ، عبارة عن مجموعة القيم والأخلاق والعقيدة الخلاقة ، والحضارة الإنسانية العليا التى ينفرد بها الإنسان

---

(١) عبدالرحمن حسن الميدانى : أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها ، ص١١ دار القلم ــ دمشق ١٩٨٠م٠

(٢) أبو زيد شلبى : تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى صـ٨ ، مكتبة وهبة القاهرة ١٩٨٦م ٠

(٣) بكريس إبراهيم (الدكتور) : الحضارة الإسلامية العائدة ص١٩ ، مكتبة الأداب القاهرة ١٩٨٧م ٠

عن سائر المخلوقات ، وتكون دافعا له إلى تسخير ما خلق الله فيما أمر به تعالى [١] .

فنظرة الإسلام للحضارة ــ فى أصولها وإبداعاتـــها ــ نظـرة متميزة ، تختلف عن نظرة المجتمعات والأمم الأخرى ، التـى رأت أن الحضارة تتمثل فى الجانب المادى فقط ، والذى تهدر فى سـبيله كـل القيم والخصائص الإنسانية العليا ، فهى مثلا ــ أى الحضارات الحديثة ــ تؤتى ثمارها فى سنوات طويلة ، أو فى قرون عدة ، لكن يمكـن أن تبيدها بعمل طائش فى لحظات ، مثلما حدث فى الحربين العالميتين .

لذا فإنه من الممكن الآن ، أن نسمى ما يزعم الغرب أنه حضارة مدنية أو تمدن ؛ فى الشكل العام ، يفتقر إلى مقومات أخلاقية وعقديـة مهمة ، وهذا ما عناه كاتبنا أنيس منصـور [٢] حيـن قـال : " نحـن مبهورون بالتقدم العلمى ، وهو بالفعل تقدم باهر ، ولكنا لا نلتفت إلـى التخلف الأخلاقى ، فالحضارة ليست تطور الأدوات ووسائل الإنتـاج والمواصلات ، ولكن الحضارة هى توظيف هذه الأدوات فـى تعميـق القيم الإنسانية ، أى القيم التى تجعـل الإنسـان متحضـرا ، فالقـاتل بالسكين كالقاتل بالقنبلة الذرية ، كلاهما مجرم ، ولا يقال عن القـاتل الذرى أنه مجرم متحضر ، والقـاتل بالسـكين مجـرم بدائـى ، لأن

---

(١) توفيق يوسف الواعى : الحضارة الإسلامية مقارنـة بالحضـارة الغربيـة صـ٤٠ .

(٢) مجلة أكتوبر ، العدد ٥٥١ / ١٧ / ٥/ ١٩٨٧م ، والنص منقول من كتـاب الحضارة الإسلامية العائدة للدكتور / بكريس إبراهيم ص ٢٦ .

الحضارة ليست هى القنبلة ، وإنما الحضارة هى تحويل القنبلة لصالح الحياة ، ولاستمرار الحياة ، وبقاء القيم ونشر السلام " ٠

وعلى كل حال فلست مضطرا فى هذه الدراسة الموجزة إلى الخوض فى مقارنة بين الحضارة والمدنية المعاصرة ، لكن يكفينى هنا أن أشير إلى أن الغرب المتمدن أو المتحضر، قد غالى فى ادعاءاته الحضارية ، حتى نصب من نفسه حاميا لحقوق الإنسان ، بل وحتى الحيوان ، فى حين أن كل انتهاكات حقوق الإنسان لا تأتى إلا من قبله، وكل مظاهر فساد الكون والبيئة والأخلاق لا تنتسب إلا إليه ، حتى أصبحت حضارة الغرب تعنى بصناعة السلاح ومواد الإبادة ، وخلق أجواء التوتر والصراع فى أنحاء عديدة من دنيا البشر ، كيما تتسع الأسواق لاستيعاب منتوجاتهم التدميرية ، وبقدر ما سيطروا على العالم بالسلاح والمفاعلات النووية والرؤس الذرية ، بقدر ما فسدت الأخلاق وتلاشت القيم فى مجتمعاتهم وعندنا ، مما يؤكد فعلا على خلو مدنيتهم من كل القيم والأسس البناءة الحقة لحضارات الإنسان ٠

أما الحضارة الإسلامية ، فقد جمعت بين الجانبين : المادى والروحى للإنسان ، ولم تهتم بجانب على حساب الآخر ، لأن الإسلام دين ودنيا ، لا يعزل الناس فى المساجد للعبادة تاركين متاع الدنيا ، كما لم يجعل الدنيا جل همهم ، بحيث يهتمون بمادياتها فقط ، وإنما رتب لهم كيفية التمتع بمادياتها من منطلق عقلانى وإيمانى صحيح

ومتوازن بل ذهبت أبعد من ذلك حينما أسست أولا الجـانب الروحـى للإنسان ، ثم بنت ورتبت عليه الجانب المادى من بعد .

وبذلك تكون الحضارة الإسلامية هى الحضارة الوحيـدة التـى تشتمل أسسها الفكرية والنفسية على حاجات الحياة كلها ، من مختلـف جوانبها الفكرية والروحية والنفسـية والجسـدية والماديـة ، الفرديـة والجماعية ، ومن جميع المجالات العلمية والعملية(١).

ولعل الفارق الجوهرى الذى ميز الحضارة الإسلامية عن غيرها من الحضارات الأخرى ، هو اعتمادها على أسس راسخة وعميقـة ، فهى تقوم على ما يقوم عليه الدين الإسلامى من أسس ، متمثلـة فـى القرآن الكريم ، دستور الله الخالد للناس ، والذى جاء للإنسانية بكل مـا فيه خيرها وسعادتها ، وكان ما شرعه لها محكما وعاما ، حتى يكـون صالحا لكل زمان ومكان (٢) ، ثم كانت السنة النبوية التى توضح ديـن الإسلام ، وتعمق فهم المسلمين للأصول والأسس التى وضعها الإسـلام وجاء بها القرآن الكريم (٣) .

لذلك نلاحظ أن الحضارات التى تتابعت فى تاريخ الإنسانية قبـل الإسلام ، والتى لم تقم على أسس ومبادئ الإيمان الحق ، ولم تسـتطع ادراك عقيدة التوحيد ، قد افتقدت جوهرها ، ومن ثم كـان انحرافـها

---

(١) عبدالرحمن حسن الميدانى : أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها ص٢٣ .
(٢) أبو زيد شلبى : تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى ص٣٧ .
(٣) فتحية عبدالفتاح النبداوى (الدكتورة) : تاريخ النظم والحضارة الإسـلامية، ص٢١ طبعة سابعة ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٩٤م .

وعدم توازنها ، مما أنتج فيها اعوجاجا فى كثير من مظاهرها السلوكية والاجتماعية ، وهو اعوجاج لا يقره العقل ، ولا يتوافق مـــع الـــذوق السليم ، أى أن هذه الحضارات تتنافى مع المعايير الأخلاقية ، وبالتالى فإنه لا يمكن اعتبار منجزاتها حضارية[١] ٠

ومما يبرر لهذا ، أن الإسلام نظر إلى الإنسان على أنه عصـــب الحياة فى هذا الكون وخليفة الله فى الأرض فـــى تطبيـــق الشـــرائع ، والالتزام بالأوامر واجتناب النواهى ، وهو العنصر الفــــاعل المدبـــر الساعى للارتقاء فى الكون . ومن ثم كان اهتمام الإسلام بالإنســـــان ، ففرض له من الأمور ما يضمن له خير الدنيا والآخرة ، وما يمكنه من إقامة حضارة يثبت من خلالها قدرة أبناء هذا الدين الإســـــلامى علـــى الخلق والإبداع والاستمرارية ٠

سمات الحضارة الإسلامية ومميزاتها :

لقد قامت الحضارة الإسلامية على كثير من الأصول والممـيزات التى رتبها الله للمسلمين ، لينظموا بها حياتهم ، ويحيوا بها حياة طيبـــة، دينية واجتماعية متضافرة ، ما دامت هذه الأصول من تقنين الخــــالق سبحانه ، العالم بما يصلح من اتبعوا المنهج ، فمن هذه المميزات التـــى قامت عليها الحضارة الإسلامية :

---

(١) حامد غنيم أبو سعيد (الدكتور) : مراكز الحضارة الإســـلامية ص ٨٣ ، مطبعة الثقافة القاهرة ١٩٧٦م ٠

أولا : المساواة : إذ أقام الإسلام مجتمعه على قاعدة مهمة ، هى المساواة التامة بين البشر ، بلا قيود ولا استثناءات ، فلا فضل لرجل على آخر ، ولا للون على لون ، ولا لعربى على أعجمى ، وبهذا منع الإسلام من ظهور ما يسمى بالنظام التطبقى ، وما يصاحبه من ظلم اجتماعى[١] ، وسوى بين الناس كافة ، وقضى على المفاضلة بالأحساب والأنساب بين الناس ، وجعل الفضل لذى الفضل أيا كان نسبه أو عرقه أو لونه ، فكان لكل هذا أكثر الأثر فى تحرير الإنسان من الجبن والخوف من الطغاة والظالمين وأصحاب النفوذ ، وبالتالى تحرر الإنسان فى القول والعمل والفكر ، ولكن فى نطاق الالتزام بروح الإسلام وقيمه ، وهذا كله قد أدى به إلى إبداع حضارة كانت أرقى الحضارات التى عرفها العالم [٢] وأفادت الإنسانية منها غاية الإفادة.

ثانيا : العدالة الاجتماعية : حيث أمر الإسلام بالعدل الذى يكفل للفرد والجماعة ، بل لكل الأمة ، قاعدة ثابتة للتعامل ، لا تميل مع الهوى، ولا تتأثر بالود أو البغض ، وبسبب هذا العدل الذى تميز به مجتمع الإسلام ، فتحت الأرض والنفوس والقلوب أبوابها للمسلمين فى

---

(١) مصطفى السباعى (الدكتور) : من روائع حضارتنا ، ص ٤٧ ، توفيق يوسف الواعى : نفس المرجع ص٢٢٢ .

(٢) مصطفى الشكعة (الدكتور) : معالم الحضارة الإسلامية ص٣١ بيروت ١٩٧٥م .

مشارق الأرض ومغاربها ، وهذا ما مكن المسلمين من قيادة موكـــب الحضارة إلى المجد والسمو من غير انحراف أو تردد[١] .

ثالثا : أنها قامت على أساس الوحدانية المطلقة فى العقيدة:

فهى أول حضارة نادت بالإله الواحد الذى لا شريك لـــه فـــى ملكـــه وحكمه [٢]، على خلاف معظم حضارات الأرض التى انبنت أصولـــها على واحدة من اثنتين ؛ إما أنها قامت على عقيدة تخرب أصحـــابها وانقسموا شيعا، وهؤلاء لم تجمعهم وحدة عقدية عامة ، فصار اختلافهم فى كل شئ[٣]، وإما قامت على غير ما أصل عقدى ، ومن ثـــم فـــهى حضارة خاوية، خالية من كل ما يوحى باليقين أو يحفز همـــم النفـــس البشرية ويستخرج كوامنها .

ومن ثم فإن الوحدة فى العقيدة فى حضارة الإسلام قد طبعت كل الأسس التى جاءت بها ، فهنالك الوحدة فى الرسالة ، والوحـــدة فـــى التشريع ، والوحدة فى الأهداف العامة ، والوحدة فى الكيان الإنســـانى

(١) توفيق يوسف الواعى ، نفس المرجع ص ٢٢٧ .
(٢) مصطفى السباعى : من روائع حضارتنا ص ٤٦ .
(٣) لدينا فى ذلك مثال ظاهر ، حيث عانت أوربا كثيرا ، فى العصور الوسـطى وما تلاها ، بسبب الخلاف بين السلطات الحاكمة وسـلطات رجـال الديـن واحتدام الصراع طويلا بين القصر والكنيسة، وتنوزعت السلطة على الشعب فيما بينهما ، مما أرهق كواهل الشعوب ، وجر عليها ويلات كثيرة بسبب هذا التنازع الذى كان دائما لصالح إحدى الفئتيـــن أو كليـــهما ، علـــى حســـاب الشعوب، وكان كل هذا مضافا إلى الانقسام والتحزب الدينى ، القـــائم فـــى الأساس حول طبيعة المسيح ، وعليه فقد ظلت شعوب أوربا تـــرزح تحـت طائلة هذا التحزب والانقسام ، وطال شوقها للتحرر مـــن طغيـــان الملـــوك والأشراف والأمراء ورجال الدين .

العام ، والوحدة فى وسائل المعيشة وطراز التفكير ، حتى إن الباحثين فى الفنون الإسلامية قد لحظوا وحدة الأسلوب والذوق فى أنواعها المختلفة؛ فقطعة من العاج الأندلسى ، وأخرى من النسيج المصرى ، وثالثة من الخزف الشامى ورابعة من المعادن الإيرانية ، تبدو رغم تنوع أشكالها وزخرفتها ذات أسلوب واحد وطابع واحد[١] بمعنى أن السمة الإسلامية بدت غالبة وعلامة مميزة لكل الفنون الإسلامية فى شرق وغرب ، بحيث يستطيع المطالع للفنون أو المهتم بدراستها أن يتعرف من أول نظرة على الإبداع الإسلامى فى شكله وطابعه المميزين بدون كثير عناء .

رابعا : اعتماد الحضارة الإسلامية فى نظمها السياسية على مبدأ الشورى : حيث يتاح لمجموع أفراد الأمة المشاركة فى الرأى . للوصول إلى القرار الصائب ، والرأى السديد ، وبذلك فقد سبق الإسلام جميع النظم الديمقراطية الحديثة فى الاعتراف بضرورة موافقة الجماعة على ما يفرض عليهم من أمور وقرارات ، فالخلافة عند المسلمين عقد بين الحاكم والمحكوم ، والطاعة واجبة عليهم طالما أنه يعدل فيهم ويحكم بينهم بما أنزل الله [٢].

ولعل تجربة الممارسة الديمقراطية التى نشأت فى بواكير دولة الإسلام والتى تمثلت فى مؤتمر السقيفة عقب وفاة رسول الله ـ ﷺ ـ

---

(١) مصطفى السباعى: من روائع حضارتنا ص ٤٧ .
(٢) فتحية النبراوى : تاريخ النظم والحضارة الإسلامية ص ٤٠ .

خير شاهد على ذلك ، وهى بهذا تثبت أن الأمة التى تتربى وتنشأ على عقيدة ثابتة ، ونهج مستقيم ، تصبح دائما قادرة على إفراز كل ما من شأنه صلاحها ، واعتدال ميزان حياتها ، وقد سبق المسلمون فى الديمقراطية كل الأمم من بعدهم ، بل وصلوا إلى ديمقراطية متكاملة تفوق كل ما سبقتهم إليه الشعوب من قبلهم ·

خامسا : جعلت الحضارة الإسلامية للمبادئ الأخلاقية المحل الأول فى كل نظمها ومختلف ميادين نشاطها ، ولم تتخل عن هذه المبادئ قط ، كما لم تجعلها وسيلة لمنفعة دولة أو جماعة أو أفراد ، ففى الحكم ، وفى العلم ، وفى التشريع ، وفى الحرب ، وفى السلم ، وفى الاقتصاد ، وفى الأسرة .. روعيت المبادئ الأخلاقية تشريعا وتطبيقا ، وبلغت فى ذلك شأوا بعيدا وساميا لم تبلغه حضارة فى القديم والحديث [١] ، ويكفى هنا أن نشير إلى القاعدة العامة والهامة التى أسسها نبى الإسلام محمد ـ ﷺ ـ حين قال : " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " فلم يكن عجبا أن تركت الحضارة الإسلامية فى ذلك آثارا تستحق الإعجاب ، وتجعلها وحدها من بين الحضارات التى كفلت سعادة الإنسانية ، سعادة خالصة لا يشوبها شقاء[٢].

سادسا : التسامح الدينى ، وهذه ميزة عجيبة لم تعرفها حضارة أخرى، لأن من أمن بأن دينه حق ، وأن عقيدته أقوم العقائد

---

(١) مصطفى السباعى : نفس المرجع ص ٤٨ ·
(٢) المرجع السابق ، ص ٤٨ ·

وأصحها ، ثم أتيح له أن يحمل السيف ويفتح البلدان ويحكم بين النـــاس بالسوية لن يحمله إيمانه بدينه واعتزازه بعقيدته على أن يجـــور فـــى الحكم ، أو ينحرف عن سنن العدالة ، أو يحمل الناس على اتباع دينـــه قسرا ، ومن ثم فقد كان " أكبر الفوارق بين الدولة الإســـلامية وبيـــن أوربا التى كانت كلها مسيحية فى العصور الوسطى ، وجود عدد هائل من أهل الديانات الأخرى غير المسلمين ، الذين كانوا ينعمون بالتسامح الدينى الذى لم يكن معروفا فى أوربا فى العصور الوسطى"(١).

وعليه ، فقد انفردت حضارتنا فى التاريخ بأن الذى أقامها ديـــن واحد ولكنها كانت لأهل الأديان جميعا ، وهذا ما دعـــا الســـيرتوماس أرنولد إلى أن يقرر أن الأرقاء فى غرب أوربا الذين حل بهم البـــؤس والشقاء فى عهد المسيحين الكاثوليك ، حصلوا على كثير من المزايـــا بإلقاء زمامهم للمسلمين الذين عرفوا بالتسامح الدينى ، فـــلا غـــرو أن كان هؤلاء الأرقاء الذين وصلوا إلى الحضيـــض، أول مـــن اعتنـــق الإسلام فى إسبانيا (٢) ، فهذا التسامح الدينى إذن هو الذى حقق الغايتين العظيمتين اللتين تؤديان إلى الإبداع ، غاية التوحد الإنسانى المبـــدع ، الباعث لكل الطاقات ، وغاية نشوء الإبـــداع مـــن منطلـــق الأســـس الإسلامية العظمى فى مجتمع الإسلام .

---

(١) أدم متز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى أو عصر النهضـــة الإسلامية ص ٧٥ ، ترجمة / محمد عبد الهادى أبو ريدة ، الخانجى بالقاهرة ١٩٧٦م .

(٢) حسن إبراهيم حسن وعلى إبراهيم حسن (الدكتوران) : النظم الإســـلامية ، ص٣١٦ مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٧١م .

ويمكن أن نستخلص من مجموع مزايا الحضارة الإسلامية أنها مزجت الدماء المختلفة فى مجتمع الإسلام ، وجعلت كل الفئات والطبقات والأجناس لبنات متجانسة متراكبة فى البنيان الاجتماعى ، يكمل بعضها بعضا ويتمه ، فى شكل لا تستطيع حضارة الغرب الحالية ادعاءه ، فعلى الرغم من تيه الغربيين بمدنياتهم المعاصرة ، إلا أن مجتمعاتهم من داخلها ما تزال تئن بالخلافات والصراعات العرقية والجنسية ، التى لم تستطع تلك المدنيات محوها ، حتى لقد رأيناهم فى داخل مجتمع الدولة الواحدة يخصصون أحياء للسود ، وأحياء للبيض ، ومثله فى وسائل المواصلات ، وفى الفنون والسياسة .. الخ ، وما كل هذا إلا لأن مدنياتهم تقوم فى الأساس على فكر بشرى قاصر مهما كان الدافع والهدف .

ثم الدليل الثانى الهام فى هذا الميدان ، هو ظهور ما يسمى "بالأقليات" فى المجتمعات الحديثة ، ويقصدون بها القلة العددية لفئة من الناس جنسا أو ديانة بالنسبة لمجوع سكان الدولة ، وتصبح هذه الأقلية فى درجة أقل وأحط شأنا من درجة وشأن عموم سكان الدولة أيضا ، ثم يذهبون إلى أبعد من ذلك ، فيقولون مثلا : المسلمون فى أمريكا أو بريطانيا من أصل عربى ، أو الفرنسيون بالجنسية ومن غير أصول فرنسية ، وكل هذه الشواهد أو الظواهر المجتمعية والطبقية والجنسية لم نر لها مثالا فى دولة الإسلام ومجتمعه ، فقد انصهر الكل فى كيان

المجتمع ، وسرت أحكامه الإسلامية العادلة على الجميع ، فلا أقلية ، ولا طائفية ، إنما هو مجتمع الإسلام الواحد.

هذا قليل من كثير من مميزات الحضارة الإسلامية وخصائصها تلك الحضارة التى تميزت بأنها إنسانية النزعة والهدف ، عالمية الأفق والرسالة ، لذلك فإنها تفوقت على الحضارات الأخرى ، واستطاعت قيادة المجتمع البشرى ، وإسعاده بالعلم والمعرفة[١] ، وعالجت كل ما كانت تعانى منه الحضارات السابقة من قصور ونواقص وانحرافات ، كما أنها رسمت طريق المستقبل للحضارات اللاحقة ، بعيدا عن الوقوع فى مثل ما وقعت فيه الحضارات السابقة شريطة أن يحتذى فى ذلك النموذج الحضارى فى الإسلام ، وفى ضوء هذه الحقيقة يصح أن يقال عن الحضارة الإسلامية أنها "حضارة الحضارات"[٢].

---

(١) على عبدالله الدفاع (الدكتور) : روائع الحضارة العربية والإسلامية فى العلوم ص ١٨ ، عالم الكتب للنشر والتوزيع ، الرياض ١٩٩١م .
(٢) حامد غانم أبو سعيد : مراكز الحضارة الإسلامية ، ص ١٥٤ .

صراع الحضارات أم تواصلها ؟

قبل أن نبتعد عن هذا المعنى كثيرا ، أود أن أتوقف هنا قليــــلا ، لأناقش الفكرة الغربية التى ظهرت فى أخريات القرن العشرين ·

وهى فكرة " صراع الحضارات " التى يحاول الغربيــون ـ الآن ـ إنمائها وتوسيع مفهومها ، حتى صارت تعقد بصددها كثــــير مــن الندوات والمؤتمرات العالمية ، وظهرت فيـــها كثــير مــن الكتابــات والمناقشات ·

وكل هذا مما يجعل الباحث فى تاريخ الحضارة الإسلامية ملزمــا بالمناقشة والحوار فى هذه المسألة ، حتى يتبين الناس الحق من الباطل فى هذا الزمان الذى صار فيه لأهل الباطل قوة ، ولهم الغلبة ، يزيفون كل شئ لصالحهم ويطمسون معظم الحقائق التى تتعارض ونزعاتهم ·

وفى بداية مناقشة هذه الفكرة أرى أن أضع عدة تساؤلات هـــى: ماذا يقصدون بصراع الحضارات؟ و.. إذا كان صراعا فلم لم يظـــهر فى كل تاريخ البشرية السابق؟ هل لم تتصارع الحضــــارات إلا الآن ؟ و..هل الحضارات تتصارع حقيقة أم تتواصل وتتلاقى؟

وفى الإجابة عن كل هذا نقول لهم : ليس علميا ولا منطقيا مــــا تدعون ، فليس له مبرر من الواقع ، وذلك لعدة أسباب ، منها :

أولا : أن الحضارات ليست أشـــخاصا ولا دولا ولا مؤسســـات حتى يتم ذلك الصراع بينها ، وإنما هى كما سبق فى تعريفنا للحضـــارة ثمار ونواتج وابتكارات العقل الإنسانى والفكر البشرى فى كل نطاقـــات الحياة ومناحيها ، مما ييسر من حياة الإنسان ويعود عليه بالنفع والخير ورفاهة الحياة ، فهى إذن علوم ومعارف وفنون ونظم مختلفة ، بنـــاءة فى أصولها ، نافعة فى أهدافها ، ومن ثم فهى ليست أدوات عســكرية، ولا حتى أفكار متضاربة متناقضة، إنما هى معان وثوابت يمكن بـــها الارتقاء والتقدم والالتقاء ٠

ثانيا : أنه من الثابت على طول حقب التاريخ وعصوره أن هـذه المعانى الحضارية والأصول الفكرية والثقافية تتنامى وتتفـــاعل بيـــن الأمم والشعوب ، سواء منها من أنتج حضارة ومن لم يبـــدع فيـــها ، يعنى هى متواصلة ومتوارثة ومتنقلة بين أمم الأرض ، تأخذ كل أمـــة منها بقدر ما تستطيع ، وتضيف ما يمكنها إضافته أولا تضيف حســب إمكاناتها وقدرتها على التفاعل والتطور ، وهكذا يثبت مـــرة أخـــرى اتصال حركات التاريخ بعضها ببعض؛ ذلك أن الأسس الجوهرية فـــى الحضارة لا تضيع أبدا مهما حل بها من زلازل وأوبئـــة ، وجـــدب ، وهجرات مدمرة ، وحروب مخربة مهلكة ، بل إن ثقافات فنيـــة تمـــد أيديها إلى هذه الأسس فتنتشلها من هذا اللهب ، وتمد حياتـــها بـــالتقليد والمحاكاة ، ثم بالخلق والابتكار حتى ينبعث فى الشعب الناشئ شـــباب جديد وروح وثابة جديدة ، وكما أن النـــاس أعضـــاء فـــى مجتمـــع ،

والأجيال لحظات فى تسلسل الأسر ، فإن الحضارات وحدات فى كل أكبر منها وأعظم اسمه التاريخ ، فهى مراحل فى حياة الإنسانية.

إن الحضارة متعددة الأصول ، وهى نتاج تعاونى لكثير من الشعوب والطبقات والأديان ، وليس فى وسع من يدرس تاريخها أن يتعصب لشعب أو لعقيدة"[١].

هذا كلام ول . وايريل ديورانت أحد مؤرخى أوربا وعلماء الحضارات فيها ، وهو طبعا يؤيد ما ذهبت إليه من أن الحضارات تتواصل وتتلاقى بدون حواجز أو قيود .

وقديما قبل ظهور الإسلام ثبت أن " وحدة التاريخ ، أو الوحدة النسبية تولد تقاربا فى العواطف والنزعات ، وتماثلا فى الأفكار والتقاليد والعادات ، والذكريات التاريخية تقرب النفوس والأفكار ، وتكون بينها نوعا من القرابة المعنوية ، وأن هذه الوحدة التاريخية النسبية بين أبناء الشرق والغرب هى التى أعطتهم لونا وطابعا حضاريا واحدا " [٢].

ثالثا : بإمكان كل مطالع لمسيرة التاريخ البشرى ، حتى ولو كان من غير المتخصصين فى التاريخ ، أن يؤكد على أن مسألة

---

(١) ول . وايريل ديورانت : قصة الحضارة ، الجزء الثانى من المجلد الرابع ص٣٨٨ ، ترجمة / محمد بدران ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٧٤م.

(٢) على حسنى الخربوطلى (الدكتور) : المستشرقون والتاريخ الإسلامى ص١٨ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٨م .

الصراع بين الحضارات غير واردة ، ولم تسجلها حركة التاريخ بطولها ، وإنما كان العكس ؛ حيث ثبت أن التواصل والتلاقى بين الحضارات بات أمر لا مفر منه ، وذلك بحكم طبيعة تعاقب الأجيال وتوارثها لإبداعات السابقين ، ولن أستطرد فى ذلك طويلا ، لأنها نظرية لا تحتاج إلى كثير من البرهان والإثبات .

لقد كانت الحضارات فى العالم قبل الفتوحات العربية الإسلامية متقاربة إلى حد كبير ، فقد اقتبس الإغريق كثيرا من ألوان حضارتهم من المصريين والفينيقيين والكلدانيين والفرس . وعرف الرومان الحياة المدنية خلال صراعهم مع القرطاجنيين ، وحينما أصبحت الدولتان الفارسية والرومانية أكبر دول العالم القديم ، حدث امتزاج حضارى بين الدولتين رغم عدائهما وتنافسهما فى مجالات السياسة ، وكان الصدام الحربى من عوامل الاتصال الحضارى بين الفرس والروم[١].

هذا فى عالم ما قبل الإسلام ، فلما بعث نبينا محمد ـ ﷺ ـ وأقام دولة الإسلام ، وخلفه من بعده صحابته الراشدون فى حكمها ، وفتحت لهم بلاد الدنيا فاحتكوا بشعوبها وتجانسوا معهم ، أتاح لهم الإسلام الاتصال بحضارات تلك الشعوب والإفادة من كل ما فيه نفع لهم ، ونفى كل ما يخالف ، أو ما ليست فيه فائدة يقبلها العقل .

---

(١) على حسنى الخربوطلى : المرجع السابق ص ١٨ .

ولى هنا ملاحظة مهمة ، فالمسلمون كانوا دائما وما يزالون أكثر شجاعة وواقعية من الغربيين ، حينما اعترفوا وما يزالون مقرين بأن حضارتهم الإسلامية قد استقت واستفادت الكثير من علوم ونظم وثقافات الأمم الأخرى ، كالفرس واليونان والهنود ، حينما خالط المسلمون تلك الشعوب فى منظومة الفتح الإسلامى ٠

وهذا الاعتراف لا يقلل من قدر حضارتنا ، ما دامت القاعدة أن كل حضارة تأخذ مما قبلها ، وتضيف لما بعدها فى إطار مسيرة الفكر والإبداع العقلى للإنسان ، بينما نجد العكس من ذلك تماما عند الغربيين الذين يؤذيهم كثيرا القول بأن أصول حضارتهم المعاصرة كانت إسلامية فى الأساس ، ويعمدون إلى إنكار ذلك والتمويه بشأنه ، وكأنه من العار أن تنبنى حضارتهم على أسس إسلامية ، وأرى أن الذى يدفعهم إلى ذلك لا يخرج عن واحدة من ثلاث ، أو الثلاث معا :

الأولى: غرورهم بإنجازهم المادى والذى يرون أن لا سابقة له فهم به فوق كل البشر ، وفوق كل الحضارات ، ويزكى هذا الغرور عندهم ويغذيه ، أن حضارتهم هى التى يلمسها الناس الآن ، يعنى هى الظاهرة ، الماثلة للعيان ، ولم تصبح بعد فى خبر كان ٠

الثانية : محاولتهم نسيان ماضيهم الأليم المر الذى عاشوه من قبل هذه النقلة الحضارية ، والذى كان أبلغ ما وصف به هذا الماضى أنه "العصور المظلمة" بالنسبة إلى أوربا ، وهى العصور التى قاسوا

فيها كل أنواع وويلات الذل والعبودية والفقـر والجـهل والمـرض ، وكأنهم بمحاولة النسيان هذه يريدون أن يقنعوا أنفسهم والآخرين بأنـهم دائما وفى كل العصور أصحاب الحضارات وأهل العلو والارتقـاء ، لكن ثبت التاريخ يدحض عليهم هذه المحاولة ، ويحوى فى طياته لـهم ذلك الماضى البئيس، ليذكرهم به دائما ٠

وأما الثالثة : فإن عداءهم للإسلاهم ، واستعداءهم لكل ما يمـت إليه[1] ، قد جعلهم يستميتون فى سبيل التنكر لكل إنجازاتـه وقيمـه ، وبالتالى لإنكار كل أثر له فى بناء حضارتهم المعاصرة ، وهذه أيضا ، لن يتمكنوا منها ، ولن يتركهم التاريخ كى يتسللوا هربا من الاعـتراف بها ، بل ستظل ذاكرته مملوءة بكل ما ينغص عليـهم سـعيهم هـذا ،

---

(١) فى أسباب حقد الغربيين على الإسلام وكراهيتهم له ، انظر الفصل السـادس بعنوان : " الإسلام والوعى الأوربى " فى كتاب مونتجمـرى وات : فضـل الإسلام على الحضارة الغربية فهو يقول : " ... حين يسـتعرض المـؤرخ المسلم تاريخ أوربا فى العصر الوسيط ، يجذب انتباهه قبل أى شـئ آخـر أمران : العمق الروحى أو الدينى للحركة الصليبية ، وكيف تسنى للصـورة الشائهة عن الإسلام أن تهيمن على الفكر الأوربى من القرن الثـانى عشـر وحتى يومنا هذا ص ٩٨ . "والواقع أن الصورة الأوربية الشائهة عن الإسلام هى أبعد ما تكون عن الحقيقة " ص ١٠٢ ٠
" لقد كان لشعور أوربا الغربية بـالنقص عنـد مواجهتـها للحضـارة الإسلامية جوانب متعددة " ص ١١١ ٠
" وكان تشويه الأوربيين لصورة الإسلام ضروريـا لتعويضـهم عـن إحساسهم بالنقص" ص١١٢ وكلام آخر كثير يريك إلى أى مـدى تصنعـت أوربا لتنتقص من قدر الإسلام وتحط من قيمته عن عمد وقصد !

وسيبقى السؤال أمامهم دائما ؛ كيف خرجتم من عصور الظلمة إلى مباهج حضارتكم الحالية ؟ وما الأسس التى نهضتم بها ؟ [١] .

وقبل أن أجيبهم على هذا السؤال ، أو استخرج إجابته من طيات التاريخ ، أود أن أحاورهم بسؤال آخر ، هو : إذا كان هذا الكلام السابق عن صراع الحضارات ، وإذا ثبت ـ وتعلمونه يقينا ـ أن لا صراع ينشأ أبدا بين الحضارات ، فما سبب ادعاؤكم لهذا الصراع ؟ وماذا تهدفون من ورائه ؟

وطبعا لن يجيبوا ! وإن فعلوا فستكون إجابتهم فى شكل متناه فى الفلسفة والتحزلق ، لا يمكن أن يقتنع به الدارس المدقق لتاريخ الحضارات . ومن ثم فسأجيب على هذا السؤال، لأبين للقارئ القصد والهدف من ادعاءاتهم ، ثم لأقرر لهم ، أننا نعلم ما يريدون ، ونفهم ما يقصدون .

إن الدافع الحقيقى لإدعائهم هذا " يعنى صراع الحضارات " ، هو حقدهم على الإسلام ، وعداؤهم للمسلمين ، ومحاولاتهم الدؤوبة للانتقاص من قدر الإسلام وأصوله الثابتة ، والتقليل من قيمة المسلمين وتاريخهم الحضارى العريق . لأنهم يعلمون يقينا أن الأمة الإسلامية عندها من الأصول والثوابت الحضارية ما لو فعلته واستنهضته من

---

(١) سنؤجل الإجابة على هذا السؤال إلى صفحة ٤٩ فى مبحث : أثر الحضارة الإسلامية فى الغرب .

جديد لسادت الدنيا ، كما سادت من قبل ، ولسبقت الغرب والشرق فـــى كل إنجازات الحضارة ٠

وهذا هو أهم ما يخيفهم من ظهور نهضـــة إســـلامية جديـــدة ، ويدفعهم إلى التقليل من شأن كل ما هو إسلامى ، فيحققوا لأنفسهم بذلك غايتين ، الأولى ، إثبات العلو والتفوق لمنجزاتهم الحضارية ، والثانيـــة إقناع أبناء الأمة الإسلامية بالعجز والتخلف ، وعدم القدرة على الإبداع الحضارى٠

ومن ثم يستطردون فى اتهام الإسلام بأنه ديـــن لا يرقـــى إلـــى مستوى الحضارة والإبداع ، مدللين على هـــذا بـــأن مجمـــوع الأمـــة المسلمة الآن قد تواروا فى الظل ، وعكفوا على النهل والإفـــادة مـــن ثمار حضارات الغرب ، ثم يحاولون فى هذا السبيل إلى سلخ المسلمين من لباسهم الدينى بدعاوى العلمانية ، والفصل بين الدين والدنيـــا ، أو الدين والدولة ، محاولين التأكيد على أن الدين لا علاقة له بالسياســـة ، بل لا أثر له فى حياة الناس ، ومن ثم يجب أن ينحى جانبا ٠

ومن ثم يركزون على نقل المسلمين إلى جوانب الحياة الماديـــة، وشغلهم عن تطبيق مبادئ الدين ، لأن المسلمين ــ فى نظرهـــم ــ إذا فعلوا دورهم الدينى وكانوا أمة كما يريد الله لهم ، تمت لـــهم الســـيادة التى يتوارى معها الظهور الغربى ، وتتلاشى آثاره ومنجزاته ، ولـــذا فهم يتفانون فى فصل المسلمين عن التطبيق العميق لأصول الإسلام ٠

وحتى لا أبعد بالقارئ كثيرا عن أطيل الموضوع ، فإنى لن أضل فى شرح هذه المسألة " العلمانية " فلها مواقع أخرى ودراسات أخرى لا أرى أن مجالها ههنا . وأعود لأختم معك أخى القارئ مسألة الصراع الحضارى ، فأقول : ما شواهد هذا الصراع الذى يدعيه الغرب؟ أينظرون إلى الحروب الصليبية على أنها من تلك الشواهد؟ أم يظنون أن الهجمة المغولية على بلدان الحضارة الإسلامية كانت واحدة منها ؟ أم الهجمة الاستعمارية الشرسة التى جاءت من أوربا وأمريكا إلى بلدان الشرق الإسلامى فى العصور الحديثة ؟

ولا أرى أن فى ذلك على الإجمال شئ يوحى بأنه كان صراعا حضاريا ؛ فهجمتهم الصليبية على بلدان الشرق ، ما كانت إلا نفرة جماعات من الفقراء والجهلة المتخلفين صوب بلاد الخير الوفير ، والحضارة اليانعة ، وقوم كهؤلاء لا يمكن أن نسمى ما وقع منهم تجاه بلادنا بأنه صراع حضارى ، بل هو صراع من أجل الإفادة من حضارة الشرق ، والنهل من خيراته ، فهو صراع نفسى من طرف واحد ، وكذا يقال فى هجمة المغول على بلدان المسلمين ٠

أما الهجمة الاستعمارية الحديثة ، فهى أيضا كانت بقصد سياسى ودينى واستراتيجى ، هدفها تفتيت العالم الإسلامى ، ونهب خيراته ، وتجزئته حدوديا ، بما لا يسمح للمسلمين بالنهوض والتوحد من جديد ، وهذا ما يزال ماثلا الآن ، وإن كان كابوس الاستعمار العسكرى قد

زال ، إنما هو باق فى أشكال اقتصادية وفكرية وسياسية ، متعددة وكثيرة وقاسية ٠

أما إذا لم تكن تلك الظواهر (الحروب الصليبية ، الهجمة المغولية ، الهجمة الاستعمارية الحديثة) ذات دلالة على قيام صراع حضارى كما حاولت إثباته ، فليقولوا لنا هم ، وليدلونا على ظواهر الصراع الحضارى ، علنا نصدق ما يفترون ، أو يقتنعوا هم بزيف ما يدعون !

وخلاصة القول ، أنه ليس هناك ، ولا يمكن أن يكون ، ما يسمى بالصراع الحضارى ؛ لأن سمة الحضارات التواصل والتكامل ، إنما هو صراع مفتعل بين الغربيين والمسلمين ، يقصدون منه إلى أهداف كثيرة وبعيدة ، ولو تخيلنا المسلمين فى كوكب آخر غير الأرض ، ما سمعنا بهذا الصراع ! بدليل أنهم فى سبيل ذلك مثلا ، صنعوا البطل السوفيتى الشيوعى ليقفوا به فى وجه الإسلام أو ليقضوا به عليه ، ثم بعد تلاشيه، عمدوا إلى إثارة مسألة " الخطر الإسلامى " الذى يتهددهم، وأخذوا يرصدون ويجندون كل إمكاناتهم وطاقاتهم لمواجهة هذا الخطر الذى توهموه!

فالقضية إذن مسألة حرب على الإسلام وشعوبه ، ولا يصح هنا حتى أن نسميها " بالصراع الدينى "، فكما لا تتصارع الحضارات ، لا تتصارع الأديان ، والصراع يأتى من المصارعة ، بمعنى المفاعلة ، فمن يفاعل الغربيين فى هذا المجال؟ لا أحد! إذن فهو صراع نفسى

داخلى فيهم ، ما داموا مصرين على تسميته بهذا ، وليظلوا عليه حتى يصرعهم الله سبحانه بأعمالهم وأحقادهم .

ويكفينى هنا أيها القارئ أن أدلل لك على ثبوت هذه النظرية من خلال الحوادث الأخيرة التى يشهد العالم بأسره وقائعها الآن ، فإنه منذ أحداث يوم الثلاثاء الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١م ، التى اقتحم فيها مجهولون بأربع طائرات مدنية مبنى مركز التجارة بنيويورك ووزارة الدفاع الأمريكية " البنتاجون " بواشنطن ، منذ ذلك اليوم وحملة الغربيين جميعا على الإسلام والمسلمين شرسة وفى تصعيد مستمر .

ومنذ اللحظة الأولى للأحداث قرر العالم كله وبجميع طوائفه، تتزعمه أمريكا ــ قطب الزعامة الدولية الأوحد ــ أن الإسلام هو المسئول الأوحد عن هذه التفجيرات ، وأن هذا العمل التخريبى المناهض للحضارة البشرية لا يقوم به إلا المسلمون!

وكأنى بالغربيين دعاة الحرية وحقوق الإنسان فى هذا الصدد يثبتون بكل وجه أنهم شعوب جوفاء خاوية ، قد خلت نفوسهم من كل أثر لعلم أو مدنية ؛ ولم تحو إلا حقدا وضغنا على الإسلام والمسلمين من دون داع ، وبدون مسوغ ، فرغم كل هذا التقدم العلمى والتقنى والاستخباراتى ، يوجهون الاتهامات القاطعة للمسلين من دون أية شبهة أو دليل !

وهذا يثبت ما قلته من قبل ، من أن تلك الشعوب تعانى صراعا نفسيا عنيفا ، ما ينفكون يجدون له متنفسا حتى يفرغوه فى الإسلام والمسلمين ، ما داموا قد تصوروا أن الإسلام هو عدوهم الأول .

وعليه ، فقد بادر الرئيس الأمريكى " بوش الابن " بإلصاق التهمة بالمسلمين ، وأعلن فى صراحة مقيتة أنها ستكون حربا صليبية جديدة ضد المسلمين لا هوادة فيها حتى يقطع دابر الإرهاب!

ففى كلامه هذا بعدين خطيرين غاية الخطورة ، البعد الأول ، وصفه للحرب بأنها صليبية ، أى دينية ، ضد المسلمين على غرار الحروب الصليبية الأولى فى العصور الوسطى ، التى نشط البابا أوربان الثانى – راعى الكنيسة المسيحية فى أوربا ، فى مجمع كليرمونت بفرنسا ١٠٩٥م أذهان العامة لها ، وهيج مشاعر الغوغاء ، حين دعاهم إلى حرب المسلمين فى الشرق .

وبهذا يتأكد لنا أن الشعوب غير الإسلامية ، هى كلها فى نظرتها للإسلام سواء ، من أول التاريخ إلى آخره ، سواء تحضرت تلك الشعوب كما يدعون الآن ، أم كانت فى جهالة وتخلف مثلما كانوا فى زمن الحروب الصليبية الأولى !

وهذا يهدم نظرية الحضارة التى يدعونها ، ويدحض مزاعمهم فى دعم الرقى البشرى والاهتمام بحقوق الإنسان ، ما دامت نفوسهم تتفاعل بهذا الحقد الوضيع على الدوام ، وما دامت القرون المتعاقبة

ونظريات العلم المستحدثة غير ذات أثر فى ترقية هذه الأفكار وتهذيبها أو تنشيط العقول التى أقفلت على الجهل والغفلة ٠

وربما كان من الممكن أن يكون لهذا التوجه الأمريكى معقوليتــه لو كان الفاعل من المسلمين ، إنما أن يوجه الاتهام إليهم مباشرة بــدون أدنى دليل ، مع احتمالية أن يقــوم بــهذا الجــرم أى مــن الطوائــف والتيارات المناهضة الأخرى ، وهى كثيرة ، تعادى أمريكا فى الخارج والداخل ، فهذا بلا مراء تزيد فى الصلف والحماقة والإفلاس الدينــى والعقلى، بل والحضارى ٠

أما البعد الثانى فى كلام الرئيس الأمريكى ، فهو ذلــك المعنــى الصريح الذى يؤكد فيه أن الإرهاب ليس إلا من صنع المسلمين! طبعـا لأن شعوب الغرب المبهورة بمدنياتها ، الغارقة فى مادياتها قد عزلــت نفسها ، بل نأت بنفسها عن أن تتفهم واقع الإسلام وتاريخه ، ثم أفهمت هذه الشعوب حقيقة الإسلام بصورة مزيفة وخاطئــة ، وعليــه ، فقــد أصبح الإسلام ــ من وجهة نظرهم ــ بابا لكل شر ، ومجتمعاته مرتعا لكل جرم ! ولم يكلفوا أنفسهم ــ ولو قليلا ــ فهْم حقيقة هذا الدين الذى يجاورهم فى كل مكان على الرغم من أنهم يتكلفون كثيرا فى دراســات ومعارف هشة ورديئة فى الفكر والجنس واللهو الخ !

ثم يأتى من بعد ذلك تصريح رئيس وزراء إيطاليا " برلســكونى" الذى يعلن فيه أن الإسلام ليس دينا حضاريا ، وأن حضارة الإسلام لــم تكن حضارة بالمعنى الذى يفهمه هو! ويعلل لنظريتــه هــذه بهمجيــة

المسلمين وأنهم شعوب إرهاب ودمار ! وهو ــ طبعا ــ فى رؤيته هذه ينطلق من جهل تام بحقيقة الإسلام وتاريخــه وحضارتــه ، إن كــان جاهلا حقا ، وهذا ممكن ، أو ينطلق مــن نظريــة التعميــة للحقــائق وتشويهها ، كما اعتاد الغرب ذلك على طول تاريخهم مع الإسلام !

وهذه وجهة خطيرة تبين مدى جهل الغربيين بحقيقة الإسلام ، أو تجاهلهم لحضارته الغابرة ، التى هى أسمى حضارة عرفتها البشــرية على طول تاريخها . بل إن ادعاءهم بأن الإرهاب من صنع المســلمين وحدهم ، يؤكد على نظرتهم السوداء للمجتمع الإسلامى ، كمــا يؤكــد على أنهم زورا وبهتانا ينفون عن أنفسهم النقائض والأفعــال المخلــة، باعتبار أن حضارتهم تمنع من ارتكاب مثل هذه المخالفات والنقــائص، وبالتالى لا يجدون أمامهم سوى المسلمين كى يلصقوا بهم تلك النقائض والمعايب ظلما وبهتانا ، ليتسنى لهم بذلك أن يشوهوا واقع المســـلمين من ناحية ، ويعموا على نبل ماضيهم وسمو حضارتهم الغـــابرة مــن ناحية ثانية ، ثم يؤكدوا لأنفسهم ولمن يواليهم علــى نظريــة صــراع الحضارات التى يدعونها ، مدللين على ذلك بما عليه واقع المســـلمين الآن .

ولئلا أطيل عليك عزيزى القارئ ، هلم لنتبيــن مــاذا كــان رد الغرب جميعه على أحداث نيويورك وواشنطن . لقد جمعــت أمريكــا معظم شعوب الأرض شرقا وغربا ، وأنشأت ما أسمته بالتحالف ضــد الإرهاب، وراحت تدك دولة إسلامية صغيرة ، تســتنزفها الحــروب

العامة والأهلية منذ عشرات السنين ، من دون ذنب ولا جريرة ، وقبل إقامة أى دليل ! بحجة أن هذه الدولة هى راعية الإرهاب فى العالم ! مع أن هناك العديد من الدول والمنظمات الراعية للإرهاب ، لكن لكونها غير إسلامية لم توجه إليها التهمة وليت شعرى فأى عقلية هذه التى تقضى بلاد ليل ، وتعاقب بلا جرم ، وأى حضارة تلك التى يصبح قادتها قضاة وجلادين فى وقت واحد ، ولو سلمنا جدلا بأن الإرهاب آت من أفغانستان ، فلن نسلم ، بل لن يسلم أى عاقل بأن يكون الرد بهذا الشكل الإرهابى العنيف ، إنما لو كان هؤلاء متحضرون كما يزعمون ، لتثبتوا أولا ممن وقع منه الفعل ، ثم اتخذوا ضده من الإجراءات القانونية الدولية ما يردعه ويكفه ، بدلا عن قتل شعب بأكمله ، بأطفاله ونسائه وشيوخه ، وتدمير بنيته الهشة إن وجدت وكل هذا بلا ذنب وبدون دليل !

ولست فى تحليلى هذا أدعى أننى محلل سياسى ، بل إنى فقط اتخذ من واقع الغربيين ترجمة صادقة عما تكنه قلوبهم تجاه ديننا الحنيف وشعوبه، وبيانا واضحا على مدى استعلائهم بحضارتهم المدعاة ، والتى سرعان ما تسقط من علو وتنحدر من ارتفاع مع أية هزة ولو ضئيلة ، ليعودوا أدراجهم شعوبا همجا وثقافات عارية وخاوية ليس لها ثبات .

وآخر ملحوظة فى هذا السياق نتبينها حين نعقد مقارنة بين واقع البشرية الآن والذى تتمثل فيه أمريكا قطب الزعامة الدولية الأوحد ،

وخلاصة التجربة الحضارية العالمية ، وبيـــن دولـــة الإســـلام فـــى عصورها الغابرة ، وهى مقارنة متفاوتة مـــن وجهـــة نظرنـــا نحـــن المسلمين ، لكن لا بدلنا من طرحها ، ما دام الطرف الآخر ــ الغربـــى ــ غير مؤمن إلا بمنهجه ، منكر لكل شئ ينتســـب إلينـــا أو يتصـــل بالإسلام.

ولن نستطرد من جديد فى التذكير بمنهج الإســـــلام فـــى حكـــم الشعوب، ولا بمظاهر الحضارة الإسلامية التى تقدمت بها البشـــرية ، وارتقت من الحضيض ، ولا بمدى الرفق والسماحة التى تمتع بها كـــل من انضوى تحت راية الإسلام من أجناس وملل .

إنما نبين هنا فقط تلك المفارقات الواضحة فى أســـلوب وحيـــاة الغربيين الآن ممن يدعون الحضارة ويتشدقون بالمدنية ، وعلى رأسهم أمريكا التى تدعى التفوق والسيادة . فأمريكا هذه قد أقامت أكـــثر مـــن سبعين حربا فى نصف قرن ، أى من بعد الحرب العالمية الثانية إلـــى الآن . مفتعلة فى كل هذه الحروب أسبابا ودواعى من عندياتها ، لكنـــها فى الأصل لا أساس لها ولا دافع .

مثال ذلك بدون حصر ، حروبها فى كوريا الشمالية ، واليابـــان ، وكوبا ، والبوسنة ، والصومال ، وأفغانستان والعراق ، وصارت تزهو بأنها تدخل الحرب فتقتل الآلاف أو الملايين بدون أن تفقد جنديا واحـــدا فهل يمكن أن نسميها حضارة الحـــرب والخـــراب والعـــدوان علـــى الشعوب؟

ثم هى من ناحية أخرى ترعى آلة الإرهاب ومؤسساته فى كل مكان ، ولا أدل على ذلك من دورها فى فلسطين المسلمة من مؤازرة وتأييد للجانب الصهيونى المعتدى ، على حساب شعب متدين أعزل ، وأمثلة غير ذلك كثيرة ، فهل يصح لنا أن نسميها بحضارة العنف والإرهاب ومناصرة الأقوياء بغير حق على الضعفاء أصحاب الحق؟

ثم إن أهم ما فى هذه الحضارة الأمريكية الحديثة أنها لا تقوم على عقيدة ، ولم تؤسس شعوبها على دين ؛ فإذا كانت أمريكا مسيحية، فهل هى كاثوليكية ، أم أرثوذكسية ، أم بروتستانتية ؟ أم هى ليست كل هذا وإنما يسيرها ذلك التيار الصهيونى الممسك بتلابيبها ، حتى صارت له بوقا وأداة فاعلة . وهى فى كل الحالات تفتقد الدين ، وتقوم على نظريات بشرية ومادية ٠

ومن ثم تعمد إلى حرب الإسلام والمسلمين فى كل مكان ، خوفا من عودة دولة الإسلام الأولى ، ولا أبلغ فى الدلالة على ذلك من أن معظم الحروب التى أشعلتها تلك الحضارة الحديثة المزعومة لا تقوم إلا فى بقاع إسلامية ، وضد شعوب مسلمة ، حتى صارت خريطة الحرب المعاصرة لا يرى المتأمل فيها إلا دمارا وخرابا واستنزافا فى بلاد إسلامية[١] فهل تكون تلك هى الحضارة ؟

---

(١) انظر تاريخ الأمريكان فى فلسطين ، والعراق ، وأفغانستان ، والبوسنة، وكشمير لتتضح لك الصورة بغير كثير عناء ٠

اتصال الحضارة الإسلامية بالحضارات السابقة

بعد هذا لا أملك إلا أن أسوق إليهم " الغربيين " بعضا من الشواهد التاريخية الثابتة ، التى تثبت بشكل قاطع أن الحضارات تتواصل وتتلاقى فى منظومة تاريخية متناسقة ، وليست تتصارع كما يدعون.

فأما عن تواصل الحضارة الإسلامية مع ما سبقها ، فقد أدرك المسلمون من أول لحظة، وحسب حاجاتهم من منجزات الأمم الأخرى، أن الحضارات المختلفة لا تنشأ كل واحدة منها بمنأى عن الأخرى، بل هى تتأثر ببعضها، وتؤثر كل واحدة فى الأخرى ، فالتاريخ الحضارى لبنى الإنسان قائم على التعاون ، والأخذ والعطاء ، فلا مجال للشعور بالاستعلاء من جانب المعير ، أو النقص والذل من جانب المستعير [١].

فالعلاقة إذن بين الحضارات علاقة تلاقى واتصال ، لا صراع وانقطاع ، وهذا ما نجده فى الحضارة الإسلامية ، فلقد تأثر المسلمون بالحضارات التى سبقتهم ، من خلال عملية الفتوحات الإسلامية التى أدت إلى امتزاج وتقارب المسلمين مع شعوب الأمصار المفتوحة ، والإفادة من سبقهم الحضارى ، مما أدى فى نهاية الأمر إلى إبداع

---

(١) أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوربية ، دراسة بإشراف مركز تبادل القيم الثقافية ، بالتعاون مع منظمة اليونسكو ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧م ، ص ٥ .

المسلمين ، وإنجاز حضارة غدت من أروع الحضارات التى عرفتها الإنسانية .

حيث اتخذ المسلمون من بين السبى الزوجات والخدم والجوارى، وكان من بينهن نصرانيات ويهوديات احتفظن بكثير من العادات المتوارثة ، حتى بعد زواجهن من المسلمين ، كما أن المسلمين الأوائل باعتبارهم أميين – فى الغالب – قد اضطروا إلى الاعتماد على غيرهم فى أعمال الإدارة والكتابة والشئون المالية(١) وترتب على هذا أن كان النصارى أحسن حالا تحت حكم المسلمين فى الأزمان الأولى، لحاجة الفاتحين إلى هذا العنصر المسيحى المتفوق على العرب حضارة(٢).

ويقول كلود كاهن فى كتابه " الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية " (٣) : "لقد احتل العرب فى القرون الأولى للإسلام أراض مشبعة بالثقافة القديمة ، فاستوعبوا عناصرها القابلة للنقل، وهى ذاتها التى اقتبسها منهم الغرب لاحقا" .

---

(١) على حسنى الخربوطلى : الحضارة العربية الإسلامية ص٧١ شكرى فيصل (الدكتور) : المجتمعات الإسلامية فى القرن الأول ص٣٣ ، بيروت ١٩٧٨م .

(٢) ف . بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ص٥٣ ترجمة / حمزة طاهر دار المعارف بمصر ١٩٨٣م .

(٣) ترجم الكتاب : أحمد الشيخ ، دار سينا للنشر ١٩٩٥م ، ص٢٦٥ .

ويقول ول . ديورانت فى موسوعته "قصة الحضارة" : "ولما فتح المسلمون سمرقند أخذوا عن المسيحيين صناعة استخراج عجينة من الكتان وغيره من النباتات ذات الألياف ثم تجفيف هذه العجينة ، بعد صنعها رقائق رفيعة ، ودخلت هذه الصناعة فى بلاد الشرق الأدنى ، واستعملت فيها بدلا من رقائق الجلد ، فى وقت لم يكن نبات البردى قد نسى فيه بعد ، وافتتح أول مصنع للورق فى بلاد الإسلام فى بغداد عام ٧٩٤م ، على يد الفضل بن يحيى وزير هارون الرشيد ، ونقل العرب هذه الصناعة إلى صقلية وإسبانيا ، ومنهما انتقلت إلى إيطاليا وفرنسا"[١].

ويقول أيضا : " ولم يحل عام ٨٥٠ بعد الميلاد حتى كانت معظم الكتب اليونانية القديمة فى علوم الرياضة والفلك والطب قد ترجمت إلى اللغة العربية .. "[٢].

وطبعا لا يقلل من قدر حضارتنا ولا ينتقصها كونها استفادت من الحضارات التى سبقتها ، فذلك أمر طبيعى . إذ من سنة التطور الحضارى أن تقتبس كل أمة من معارف الأمم التى سبقتها ، ولولا ذلك لكان لزاما أن تبدأ كل أمة مما بدأت به الأمم الأخرى السابقة عليها ، ولسد باب التقدم والتطور الحضارى[٣] .

---

(١) قصة الحضارة ، الجزء الثانى من المجلد الرابع صـ ١٦٩ .
(٢) المرجع السابق ص ١٧٩ .
(٣) غوستاف لوبون (الدكتور): حضارة العرب ،ص٥٢٩ ، ترجمة / عادل زعيتر ، الحلبى بمصر ١٩٦٩م.

كما أنه لا يقلل من قدر المسلمين، ولا ينتقص من جهودهم، أنهم يعترفون بهذه الحقيقة، إذ هم يعترفون بأمر ثابت، وقضية يقرها تاريخ الحضارات ، بل على العكس من ذلك ، فهى شجاعة وأمانة ، أن لا تحتويهم الأنانية ، ولا يتملكهم الغرور ، مثلما هو واقع من الغربيين الآن ، إضافة إلى أنها شجاعة الأقوياء الذين يثقون بأنفسهم ويعتزون بتاريخهم وإنجازهم الحضارى ، سواء كانوا مؤثرين أم أصبحوا متأثرين .

وايضا ، فلم يقتصر دور الحضارة الإسلامية على النقل من الحضارات السابقة ، بل هى قد أثرت تأثيرا كبيرا فى تلك الحضارات وشعوبها ، وبخاصة وأن تلك الشعوب كانت قد وصلت إلى درجة كبيرة من التدنى والانحدار ، لأنها كانت قد فقدت كل مقوماتها الحضارية ، يعنى كانت بقايا حضاراتهم أثارا ، فى حين تردوا هم فى درك الفساد الأخلاقى ، والعبث الاجتماعى ، حيث افتقدت الحضارات عندهم إلى الدين ، بعد كل ما تعرض له من تحريف وبعد عن الحقيقة، كما فقدت أخلاقها ، ونظمها الاجتماعية[١].

فالنصرانية أصبحت مزيجا من آراء وأفكار حكامها ورجال الدين فيها ، وابتعدت كل البعد عن أصول الدين النصرانى الصحيح، وأصبحت خليطا من الخرافات اليونانية ، والرهبانية والوثنية ،

---

(١) توفيق يوسف الواعى : الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ص٣٥٩ .

وابتعدت عن تعاليم المسيح البسيطة ، حتى أصبحت عبئا ثقيلا على كواهل معتنقيها ، وسدا قويا فى وجه التقدم والتطور[١].

أما اليهودية ، فقد بالغت فى تعصبها وعنصريتها ، وأحلت لنفسها ما حرمته على غيرها ، فقصرت الديانة على شعبها الذى زعمت أنه شعب الله المختار ، ولذلك نجد أن العرب المسلمين عندما قضوا على دولة فارس ، التى شاركت الروم فى حكم العالم فى ذلك الحين ، وجدوها قد رضيت بالحضيض مكانا لها ، ففسدت أخلاقها، بل إن ما كان محرما بالطبيعة الإنسانية ، نجده قد لاقى رواجا فى ذلك المجتمع ، بل فى البيت الكسروى نفسه ؛ حيث كان ملوك الأكاسرة يتزوجون بأخواتهم وبناتهم[٢] ، وبرروا لتلك الأعمال المشينة بأنها تقرب إلى الله تعالى ، وأن الآلهة أباحوا لهم الزواج بلا قيود أو استثناءات . كما ظهرت فى بلاد فارس العديد من المذاهب التى ساعدت فى انحطاط الأخلاق ، وانتشار الرذيلة، مثل مذهب " مزدك " الذى أحل النساء ، وأباح الأموال ، وجعل الناس شركاء فيهما كاشتراكهم فى الماء والكلأ والنار [٣].

---

(١) توفيق يوسف الواعى ــ المرجع السابق ــ ص ٣٦٠ .

(٢) الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير) ت ٣١٠ هـ : تاريخ الرسل والملوك ٢/ ٢٣٣ ، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر، طبعة رابعة ١٩٧٩م .

(٣) الشهرستانى (أبو الفتح محمد بن عبدالكريم) ت ٥٤٨هـ : الملل والنحل ١/ ٢٩٥ ، بيروت ١٩٩٥م

وفوق هذا كله كان الشعب ينظر إلى الأكاسرة على أنهم من نسل الآلهة ، وتجرى دماؤهم فى عروقهم ، وعاش الأكاسرة أنفسهم مقتنعين بهذا الذى أوهموا به العامة ، مما نتج عنه ضياع الأخلاق، وشيوع الرذيلة ، وإباحة الأموال والأعراض والممتلكات.

أما الروم ، فلم يكونوا أحسن حالا من الفرس ؛ إذ كانت المذاهب المتعددة تعجل بنهاية الدولة ، فقد تحولت المدارس والكنائس إلى معسكرات متنافسة ، وتاهت البلاد فى جدال شديد حول طبيعة المسيح هل هى طبيعة واحدة ، أم متعددة ، أم غير ذلك .

فى هذا المجتمع المتناحر ، اختنفت الفضيلة ، وانهارت دعائم الأخلاق ، وصار الشعب يئن تحت وطأة الفقر والجهل ، نتيجة المغالاة فى المكوس والضرائب ، وإهمال الزراعة والتجارة[١] .

نتيجة لذلك كله ، أصبحت العلوم فى تلك البلاد تدور فى متاهات مظلمة ، ونسى الناس تلك العلوم التى ورثوها عن الأمم السابقة، حيث أخذوا عن اليونان الكثير من علوم الحكمة والفضيلة والأخلاق والطب والتشريح، كما أخذوا عن المصريين علوم التحنيط والتشريح والكيمياء وهندسة المبانى ، ولكن هذه العلوم جميعها قد ضاعت وتدهورت فى ظل تيارات الفساد والانحدار والانهيار[٢].

---

(١) توفيق يوسف الواعى:الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربيةص٣٦٣
(٢) عز الدين فراج (الدكتور) : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية ص ١٨ دار الفكر العربى (د . ت) .

ثم جاءت بعد ذلك الحضارة الإسلامية ، التى ثارت على مبادئ تلك الشعوب ومخالفاتها . فقد هدم الإسلام الفوارق بين الطبقات ، وسوى بين الناس ، بين كسرى وعبيده ، وبين قيصر وخدمه ومواليه، كما ألغى الإسلام التناحر والتقاتل بين المذاهب المختلفة ، وجاء بخلق عام ، ومبادئ واضحة ، وتعاليم ثابتة[١].

فاستطاع الإسلام بعد فتحه لبلاد فارس والروم أن يغير مسار تلك الشعوب، ويفتح لها آفاقا جديدة ، بعد أن ساءت أحوالها الاقتصادية والاجتماعية والدينية ، فانطلقوا فى صناعة العمران من جديد ، وفق تعاليم فطرية سليمة ، ودون خوف أو ظلم أو حقد ، وهذه كانت بداية الانطلاقة الحضارية الحقيقية للإنسان . وفوق ذلك كله أتاح الإسلام لمختلف طبقات الشعوب أن ينالوا من العلم ما يشاءون ، وهو أمر لم يكن مسموحا به من قبل ، لأن العلم كان ميزة خاصة ، تنعم بها طبقة خاصة ، وتحرم منها بقية الطبقات .

وإذا كانت الحضارة بنت العلم، والعلم هدف وضالة وغاية يسعى إليها المسلم ، من واقع كتابه الذى أمن به ، وتعاليم رسوله الذى اهتدى به ، فليس ثمة شك فى أن العلم يدفع إلى الخلق والإبداع ، والتفكر والتدبر ، وكل من الخلق والإبداع والتفكر والتدبر ينبت حضارة وينشئ معرفة[٢].

---

(١) توفيق يوسف الواعى : نفس المرجع ، ص ٣٦٥ .
(٢) مصطفى الشكعة : معالم الحضارة الإسلامية ، ص ٣٠ .

فاستجاب المسلمون لدعوة ربهم وسنة نبيهم ، وأقبلوا على العلم، وتعلموا القراءة والكتابة فى البداية ، ثم بعد ذلك تعلموا لغات أعدائهم ليتقوا مكرهم وشرهم ، كما بحثوا عن كل علم لهم فيه فائدة ومنفعة، فانطلقوا يبحثون فى علوم الأقدمين ، وأخذوا منها كل ما هو مفيد ، وتعلموا كل ما هو نافع ، ثم أقبلوا على ترجمة تراث الأقدمين فى الطب والهندسة والكيمياء والفلك والجغرافيا والنبات وغيرها ، ولم يكونوا فى إقبالهم على هذه العلوم يقبلون كل ما فيها ، بل كانوا يخضعونها أولا للتحليل والتمحيص ، ويضعونها فى ميزان العقل والتجربة ، ولذلك قاموا بتعديل الكثير من المعلومات التى وردت فى تلك العلوم(١).

ومن الملاحظ هنا أن المسلمين لم يدخروا جهدا فى البحث عن تراث الأمم السابقة فى العلوم المختلفة ، على الرغم مما عانوه من جهد لنشر الكتب اليونانية القديمة ، والفارسية ، والهندية ، بسبب اختلاف اللغات ، وصعوبة الانتقال ، ولكنهم قاموا بذلك بطل أمانة وشرف وحرص ، فهم فى إقبالهم على علوم الآخرين ، كانوا يسيرون على مبادئ الدين الإسلامى ، التى تحث على الأمانة والالتزام بإعطاء كل ذى حق حقه ، فاعترفوا بمكانة علماء اليونان وغيرهم فى العلوم التى تعتمد على الفلسفة ، كما ذكروا أنهم استفادوا من مؤلفات بطليموس وأرشميدس وأرسطو طاليس .

---

(١) عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية ص٣٩ .

وتماما كما اجتمعت كتب المسلمين والمسيحيين واليهود على رفوف مكتبات العرب متحابة تخدم الجميع على اختلاف معارفهم وعقائدهم فى بناء النهضة العلمية ، وبروح التسامح العربى نفسه لم يخجل العرب أن يدخلوا مدارس غير المسلمين . وأن ينهلوا من منابع المعرفة الهندية أو الإغريقية الشئ الكثير، وهم فى عملهم هذا لا يخالفون تعاليم الإسلام أبدا[١].

وعلى ذلك فقد قام علماء المسلمين بدور يملأ النفس دهشة وإعجابا ، من حيث نمو الفكرة العلمية ونضوجها لديهم [٢] ، وهذا بعكس ما نجده عند علماء الغرب الذين قاموا بتقديم دراسات مستفيضة طبعوها بالطابع العلمى ، كى يتمكنوا من إخفاء الحقيقة ، وإنكار دور العلماء المسلمين فى العلوم الطبيعية ، وقالوا بأن علماء المسلمين كان لهم دور فى العلوم الدينية والأدبية فقط ، أما العلوم الطبيعية ، فإنهم نقلوها من علماء اليونان لا غير ، وحفظوها لعلماء أوربا [٣] لكن المنصفين من المستشرقين يعترفون بفضل علماء المسلمين ، ويوددون القول بأنه لا يستطيع أى فرد أن يدرس الحضارة الإنسانية دون دراسة ما قدمه علماء المسلمين فى جميع فروع المعرفة[٤].

---

(١) زيغريد هونكة (الدكتورة) : شمس العرب تسطع على الغرب ، ص٣٦٨ ، ترجمة / فاروق بيضون ، كمال دسوقى ، بيروت ١٩٦٩م.
(٢) توفيق يوسف الواعى : نفس المرجع ص ٣٩٠ .
(٣) على عبد الله الدفاع : روائع الحضارة العربية والإسلامية فى العلوم ، ص١٨ .
(٤) على عبدالله الدفاع : المرجع السابق ص٤٧ .

وسوف أوافيك أخى القارئ فى المبحث التالى بالرد علـــى هــذا الزعم الاستشراقى الغربى ، وأثبت ما ينقضه من خلال كتابــات بنـــى جلدتهم ممن تحروا الحقيقة ، وأثبتوا الواقع ، وإن كان فــــى كلامــهم السابق ما يبين هذا ؛ فهم حين يعترفون بأن علماء المســـلمين كـــانوا مجرد نقلة لعلم وفكر الغير ، فإنما هم بذلك يؤكدون على أن المســلمين كانوا حلقة الوصل بين السابق واللاحق . وحتى لو لم يكن للمســـلمين من جهد سوى أنهم فعلوا ذلك لكفاهم ذلك فخرا ٠

لكن دعنى أيها القارئ أستخرج لك مما سبق ، فى مســألة نقــل المسلمين للحضارات السابقة أمرا آخر جدمهم ، وهو أن المسلمين فـــى مرحلة استيعابهم للحضارات السابقة كانوا كأن الله سبحانه قد أناط بــهم هذا الجهد ، ووكله إليهم فى تلك الحقبة التى باتت فيها أمـــم الشــرق والغرب منفكة عن أصولها الحضارية، متردية فى غيــاهب الإباحيــة والمادية الطاغية ، عاجزة حتى عن أن تنقل تراثها هذا إلـــى أجيــال البشرية اللاحقة ، بعدما غرقت إلى أذقانها فى حـــروب وصراعــات سياسية وعسكرية متواصلة ٠

بمعنى أن كانت البشرية رغم كل تراثها الحضارى الذى عكــف المسلمون عليه ، تحتاج لمن يعيد لها صياغـــة حضــارة جديــدة ، أو يبعثها فيها ، بنفس القدر الذى كانت دينيا تحتـــاج لمــن ينقلــها مــن غوغائها ومادياتها إلى عقيدة راسخة ذات أسس ومنهج ، فجاء الإســلام لحل هذه المعضلة ، وإعادة إقرار الناحية الدينية فى شـــعوب الأرض.

ثم جاءت الحضارة الإسلامية لتستوعب النافع فى كل ما سبقها من حضارات ، ثم تنميه وتغذيه ، وتخرج للإنسانية تلك الحضارة الإسلامية الرفيعة الشأن ، والتى ستظل شاء الغربيون أم أبوا المشعل الوضاء الذى أخرجهم من عصور الظلمة والجهالة إلى ما هم فيه الآن من مدنية أو حضارة ، إن سميناها حضارة .

وهذا المعنى بذاته هو ما قصدت إليه المستشرقة الألمانية "زيغريد هونكة" ، حين قالت : " إن ما قام به العرب لهو عمل إنقاذى له مغزاه الكبير فى تاريخ العالم ، وإن حضارة قد هوت وتحطمت وكانت على وشك الفناء أمام أعين خالقيها الذين صار لهم الآن هدف آخر يسعون إليه ، ولا يمت لهذا العالم بصلة . فما بقى من هذه الحضارة يجب أن تشكر البشرية عليه العرب وحبهم للعلم ، ولا يعود لبيزنطة فيه إلا فضل قليل ... " [١].

ولا أجد فى التعبير عن ذلك أبلغ من العبارة التى أوردها الدكتور/ ناجى معروف ، حيث قال[٢] : " وكما كان للمسلمين دور كبير فى نقل حضارات الأمم الغابرة إلى الغرب ، فلولاهم لضاع تراث العالم القديم ، كان لهم دور أيضا فى الإبداع والابتكار ، ونصيب مهم وعظيم فى تصليح أغاليط الأمم التى سبقتهم فى مضمار الحضارة". وأيضا عبارة الدكتور/ غوستاف لوبون ، حين قال: "فإلى

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ٣٧٧ .

(٢) أصالة الحضارة العربية ، ص٢٣٧ ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٥م.

العرب ، والعرب وحدهم ، لا إلى رهبان القرون الوسطى ، ممن كانوا يجهلون حتى وجود اللغة اليونانية ، يرجع الفضل فى معرفـــة علـــوم الأقدمين ، والعالم مدين لهم على وجه الدهر لإنقاذهم هذا الكنز الثمين، وإن جامعات الغرب لم تعرف لها مدة خمسة قرون موردا علميا ســوى مؤلفاتهم ، وأنهم هم الذين مدنوا أوربا مــــادة وعقــلا وأخلاقــا ، وأن التاريخ لم يعرف أمة أنتجت ما أنتجوه فى وقت قصير ، وأنه لم يفقــهم قوم فى الإبداع الفنى " [١] .

---

(١) عطية القوصى (الدكتور) : الحضارة الإســـلامية ص٢٩٩ ، دار الثقافــة العربية القاهرة ١٩٨٥م .

أثر الحضارة الإسلامية فى الغرب

لقد ثبت الآن أن الحضارة الإسلامية كانت حلقة وصل ما بين السابق واللاحق من الحضارات ، وهذا مما ينتفى معه الشك ، إلا ممن يكابر ويعاند بغير ما دليل ظاهر ، وإن كانت حضارة الإسلام بالنسبة لما سبقها مكملة ومهذبة ومنقحة ، فهى بالنسبة لما جاء بعدها أساس وأصل ومورد ، وهذه القاعدة قد قررنا ثبوتها ، وأكد التاريخ قطعيتها.

ولا يبقى إلا أن نُذكر – فى غير تطويل – بما أسدته للغربيين ، فأقاموا به وعليه حضارتهم الحديثة ، وذلك فى عجالة لا يتسع المقام معها لثبت كل ما قدمه المسلمون فى ميادين العلوم التجريبية والعقلية ، والفنون والآثار، والاجتماع ، وغيرها .

فقد كان للعرب المسلمين عقيدة وفلسفة ، وكان لهم نظام حكم أشاع روح العدل والإنصاف والتسامح ، فتعايش الناس ذوو العقائد المختلفة والأجناس المتباينة متجاورين ، يسودهم الأمن والسلام ، وتجاور المسجد والكنيسة والمعبد فى كل قطر بل فى كل مدينة ، وظل هذا التقليد زمنا طويلا ، حتى بعد انحسار حكم المسلمين عن البلاد التى فتحوها ، وما ذلك إلا لأنهم أوجدوا البيئة التى تسمح بنمو روح الإخاء والتسامح . فقد ربوا النفوس التى تؤمن بهذا التعايش والامتزاج، ووجدت مساجد إسلامية يدرس فيها الرهبان واليهود جنبا

إلى جنب [١] وبعد أن أغلقت أوربا العصور الوسطى أكاديمية أفلاطون فى أثينا سنة ٥٢٩م، قامت مساجد أسبانيا وجامعات فرنسا وصقلية ـ بفضل العرب وعلمهم ـ بحمل مشعل الابتكار فى العلم والفن والهندسة، فظل العرب قرونا متطاولة يحملون رسالة العلماء والخبراء والصناع على أرض جنوب فرنسا وأسبانيا وجنوب إيطاليا وصقلية[٢].

ولعل عبارة مونتجمرى وات[٣] تأتى مفصلة لكل هذا ، حيث قال عن السمات المميزة للتأثير الإسلامى فى أوربا : " ثمة ما يغرى المؤرخ لأوربا ، بعد الكتابة عن غزوات الألمان والسلافيين والمجريين والإسكندنافيين ، بأن ينظر إلى الفتح العربى لأسبانيا باعتباره غزوا همجيا مماثلا ، ورغم أن الكافة تدرك الآن أن النظم السياسية والاجتماعية لدى الغزاة المسمين بالهمج كان لها فضل فى بناء أوربا ، فمن الواجب أن نقمع بشدة أى ميل إلى تشبيه العرب بأولئك الآخرين " .

ويعلل الرجل لذلك ، فيقول : صحيح أن العرب وحلفاءهم من البربر لم يكونوا وقت الفتح على مستوى حضارى أعلى من مستوى الغزاة الآخرين ، إلا أنه كان ثمة فارق جوهرى بينهم ، فالغزاة

---

(١) عبد الحليم منتصر (الدكتور) : تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه ص٢٠١ ، دار المعارف بمصر ١٩٩٠م .

(٢) عبدالحليم منتصر : نفس المرجع ص ٢٠١ .

(٣) فضل الإسلام على الحضارة الغربية ص١٨ ، ترجمة / حسين أحمد أمين ، دار الشروق ، القاهرة ، طبعة أولى ١٩٨٣م.

الآخرون كانوا ينتمون إلى مجتمعات تنظيمها قائم إلى حد كبير على أساس قبلى ، ولم تخبر قط تلك الحضارة وذلك الصقل المرتبطين بالتطورات العظيمة فى حياة المدن . أما عن العرب ، فكانوا يمثلون امبراطورية باتت خلال القرن أو القرنين التاليين صاحبة أعظم حضارة وثقافة فى تلك المنطقة الشاسعة من المحيط الأطلسى إلى أفغانستان(١).

ويعترف المنصفون من المستشرقين بأن الرومان لم يحسنوا القيام على التراث الإغريقى ، وأن العرب كانوا على خلاف ذلك ، فقد حفظوه وأتقنوه ، ولم يقفوا عند هذا الحد ، بل تعدوه إلى ترقية ما أخذوه وتطبيقه ، باذلين الجهد فى إنمائه حتى سلموه للعصر الحديث . ويقول بعضهم : " لا نبالغ إذا قلنا إن أوربا مدينة للعرب بخدمتهم العلمية ، تلك الخدمة التى كانت العامل الأكبر فى النهضة العلمية الأوربية فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر ، لقد كانت الحضارة الإسلامية العلمية بمثابة حلقة الاتصال بين الحضارة الإغريقية والحضارة الحديثة "(٢).

ولا تظن أيها القارئ أن هذه العبارات الجذابة فى وصف الحضارة الإسلامية وآثارها ، قد جاءت من باب إطرائها بما ليس فيها، أو من باب المجاملة ، فالتاريخ يهتم بالوقائع المؤثرة ، ولا

---

(١) مونتجمرى وات : فضل الإسلام على الحضارة الغربية ، ص١٩ .
(٢) عبدالحليم منتصر : تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه ، ص١١ .

يعترف بالمجاملة والإطراء عن زيف أو ادعاء . بل دعنـــى أذكـــرك بشئ آخر لا يقل أهمية فى تاريخ الشعوب عما نحن بصدده فى ميـــدان الحضارة . ذلك أن المسلمين لم يسعوا إلى تحضير الشعوب وحسـب ، إذ ما كان ذلك ليتم لهم إلا إذا حرروا هـــذه الشـــعوب دينيـــا أولا ، لا بإجبارهم على اعتناق الإسلام ، بل بإباحـــة حرياتـــهم الدينيـــة التـــى حرمتهم منها حكوماتهم السابقة ، وهذا موضوع طويل فى بابه ، لكنـــى أدلل لك على ذلك بعبارة " زيغريد هونكة" التى تقول فيها مبينـــة أثـــر المسلمين فى كلا الجانبين الدينى والحضارى : " ... والأديرة المسيحية فى سورية التى كادت أن تنمحى فى عصر الحكم المســـيحى وصلـــت إلى ذروة عظمتها فى الدولة الإســـلامية ، أو ليـــس هـــذا بغريـــب؟ والحضارة الفارسية لم تكن لتخرج للوجود على يد الرازى وابن ســـينا مثلا، لو لم تمنحها الحضارة العربية طاقات جديدة ممتازة " [١] .

" ولم يكن العرب مجرد نقلة للفكر اليونانى ، وإنما كانوا حملـــة للشعلة مبدعين ، حافظوا على العلوم التى درسوها ، ثم وسعوا آفاقـــها وحين شرع الأوربيون حوالى عام ١١٠٠ فى الاهتمام الجدى بعلـــوم أعدائهم العرب وفلسفتهم ، كانت هذه العلوم والفلسفة فى أوجها..."[٢].

وأخيرا يمكننا تلخيص كل ما سبق وغيره فى مـــآثر الحضـــارة الإسلامية على أوربا من خلال عبارة " بريغوت " فى كتابـــه "تكويـــن

---

(١) شمس العرب تسطع على العرب ص ٣٦٨ .
(٢) مونتجمرى وات : فضل الإسلام على الحضارة الغربية ، ص٦٢ .

الإنسانية" ، حيث اعترف بازدهار الحضارة الإسلامية فى الوقت الـذى كانت فيه أوربا تتخبط فى ظلمات العصور الوسطى ، فقـــال : " لقـد كانت أوربا فى أشد أعماق الجهل والفساد ظلمة ، بينما العالم العربـــى فى بغداد والقاهرة ودمشق وقرطبة وطليطلـــة ، مراكـز للحضــارة الإسلامية ، والنشاط العقلى ، ومن ثم ظهرت الحياة الجديدة التى نمـت فى شكل ارتقاء إنسانى جديد"[١].

وهذا المعنى نفسه أكدته المستشرقة الألمانية "زيغريد هونكة" مـن جديد حين قالت : " إن هذه القفزة السريعة المدهشة فى سلم الحضـــارة التى قفزها أبناء الصحراء ، والتى بدأت من اللا شيئ لـــهى ظــاهرة جديرة بالاعتبار فى تاريخ الفكر الإنسانى ، وأن انتصاراتهم العلميــــة المتلاحقة هى التى جعلت منهم سادة للشعوب المتحضـــرة فـــى هــذا العصر، كما أنها تجعلهم أعظم من أن يقارنوا بغيرهم، إن مـــا حققـــه العرب لم تستطع أن تحققه شعوبا كثيرة أخـــرى كـــانت تمتلـــك مـــن مقومات الحضارة ما قد كان يؤهلها لهذا"[٢].

---

(١) عبدالفتاح مقلد الغنيمى ، الإسلام والثقافة العربيـــة فـــى أوربـــا ص١٩١ ، القاهرة ١٩٧٩م .

(٢) شمس العرب تسطع على الغرب ص٣٥٤ .

فكر الخصوم من المستشرقين عن الحضارة الإسلامية

رغم هذا الإطراء الصادق والإثراء المخلص لتاريخ حضارتنا الإسلامية من كثير من مؤرخى الغرب وباحثيه ، الذين مالوا إلى الحقيقة وتقرير الواقع بشأن تاريخ المسلمين وحضارتهم . ظهر بكل أسف اتجاه غربى آخر ، مع ظهور حركة الاستشراق فى الغرب ، مثله العديد من المستشرقين الذين دأبوا على الهجوم على الدين الإسلامى ، والحضارة الإسلامية ، والشعوب الإسلامية ٠

والغريب أن هؤلاء المستشرقين حينما يكتبون عن الإسلام لا يكتبون من واقع المصادر التاريخية الأصلية ، مع أن أكثر تراث المسلمين تعمر به مكتبائهم وخزائنهم ، بل يخرجون إنتاجا لا يعتمد على مصادر صحيحة ، فيجئ مملوءا بالكذب والأباطيل ، فهم يهدفون من وراء هذه الكتابات إلى تشويه متعمد لحقيقة الدين الإسلامى وحضارته ، وتمثيل المسلمين على أنهم قوة الجهل والغفلة[١].

وكان من أهم الأسباب التى دفعت بهذا الفريق إلى شن الاتهامات على الإسلام وحضارته ، بالإضافة إلى حقدهم الدينى ، هو نقمتهم على المسلمين ـ البدو من وجهة نظرهم ـ لسرعة تكوين دولتهم ، ونجاحهم فى نشر الإسلام فى أرجاء الأرض ، بينما ظل الغرب قرونا طويلة فى محاولات دؤوبة لنشر دينه ، وفرض سيادته ، ورغم ذلك لم

---

(١) نادية العمرى (الدكتورة) : أضواء على الثقافة الإسلامية ، ص١٧٥ ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٩٧م ٠

يحقق فى هذا نجاحا . وهذا ما يعترف به المستشرق الألمانى "بيكـــر" حيث يقول : " إن هناك عداء من النصرانية للإســـلام ، لأن الإســـلام عندما انتشر فى العصور الوسطى أقام سدا منيعا فى وجه الاســـتعمار وانتشار النصرانية"[١].

وعبارة بيكر هذه تحمل فى طواياها شهادة بجهله وغفلته ، حيــن يعترف فيها بأن انتشار الإسلام مثل ســـدا أمـــام حركـــة الاســـتعمار الأوربى التى حاولت أوربا من خلالها نشر نصرانيتها ؛ فهو بهذا يقـــر بأن الاستعمار كان وسيلتهم فى نشر النصرانية ، ويتغافل ــ من جانب آخر ــ تلك الروح السمحة ، والطريقة المثلى التى انتشر بها الإسلام.

وعلى هذا مضى المستشرقون يؤخون للإسلام من وجهة النظـــر الغربية ، متأثرين بثقافاتهم وفلســـفاتهم الماديـــة ، مدفوعيـــن كذلـــك بعصبيتهم الغربية والدينية ، " ومن ثم وقعت فـــى تاريخـــهم أخطـــاء وانحرافات نتيجة إغفالهم لقيم كثيرة فى هذه الحياة ، لا يستقيم تـــاريخ الحياة ولا يصح تفسير الحوادث والنتائج بدونها ، ونتيجـــة عصبيتـــهم التى تجعل أوربا فى نظرهم هى محـــور العـــالم ومركـــزه دائمـــا ، ولإغفالهم العوامل الأخرى التى أثرت فى تاريخ البشرية ، أو التـــهوين من شأنها إذا لم يكن مصدرها هو أوربا " [٢] .

---

(١) الشيخ محمد البهى : الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربـــى ، مكتبة وهبة القاهرة ١٩٨٥م ص٤٢٤ .

(٢) الشيخ سيد قطب فى تقديمه لكتاب أبى الحسن الندوى : ماذا خســـر العـــالم بانحطاط المسلمين ص١٤ ، طبعة ثامنة ، دار نهر النيل ١٩٨٩م.

وحين عمد المستشرقون إلى انتقـــاص الحضــــارة الإســـلامية ، والتقليل من دورها فى إنقاذ البشرية والارتقاء بها ، عمدوا أولا إلـــى هدم الأسس التى قامت عليها ، فكان تركيزهم الواضح فى الطعن على رسولنا الكريم ــ ﷺ ــ والتهجم عليه وعلى تاريخنا الإسلامى كلــه ، ودفعهم إلى هذا أمران ، الجهل والعداوة ، جهل بالإسلام وعداوة لـــه، ومن ثم قاموا بالهجوم الواضح الذى يـدل علــى كراهيتـــهم الشـــديدة للإسلام ، ولكنهم ما لبثوا أن تخلوا عن أسلوب الكراهية الواضحـــة ، واتجهوا إلى التستر وراء طريقة العرض التى تحمل بين طياتها آثـــار الشبهات والشكوك والطعن فى التاريخ الإسلامى ومقوماته ، فنجحـــوا بذلك فى خداع البسطاء الذين انطلت عليهم حيل المستشرقين الخبيثـة[١] وفوق ذلك أفرزوا فى مجتمعاتهم أجيـالا مشـبعة ــ زورا ــ بـروح الكراهية للإسلام وكل ما ينتسب إليه .

وفى هذا السبيل جاءت كتابات المستشـــرق اليـــهودى الأصـــل المجرى المولد "جولد زيهر " وهو من أشهر علماء الغرب فى مجـــال الاستشراق، وقد ألف كتابا أسماه " تاريخ الجنس البشرى" زعم فيـه أن الإسلام من وضع محمد ــ ﷺ ــ ، وأن محمدا نفســـه كـان تلميـذا لليهود. ويشارك زيهر فى رأيه هذا كاتب آخر هو "جورج سيل " أحـــد مترجمى القرآن الكريم ، حيث يقول فى مقدمة ترجمته : " إن محمـــدا

(١) محمد ياسين مظهر : الهجمات المغرضة على التاريخ الإسلامى ص١٧ .

كان فى الحقيقة مؤلف القرآن ، والمخترع الرئيسى له ، وهو أمر لا يقبل الجدل "[١].

كما يذكر " جولد زيهر " أن الإسلام يكره التجديد ، وكل بدعة فى نظر الجماعة الإسلامية موضع للشك والشبهة ، ولكنه لم يبين موضع البدعة ، أهى فى الدين أم فى العلوم والأفكار ؟ فإذا كانت فى الدين فاعتبارها بدعة أمر طبيعى ، لأن الدين الإسلامى له قواعده وأصوله الثابتة الواضحة ، أما إذا كانت فى العلوم والأفكار فإن الدين الإسلامى يقبلها ويحض عليها ، لأن الإسلام يدعو إلى التفكير والإقبال على العلم[٢].

ومن العجيب أن نرى بعض المستشرقين يكتبون عن موقف الدين الإسلامى من العلوم ، فيذكرون أن الإسلام قد فرض على أهله الجهل والتخلف ، متناسين ما قام به العلماء المسلمون من جهود جبارة فى ميدان العلم ، ومن أجل تأليف الكتب العلمية التى ما زالت حتى اليوم تدرس فى جامعات الغرب . من هؤلاء المستشرقين الذين افتروا

---

(١) توفيق الواعى : الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ، ص ٧١٠ ، عفاف صبرة : المستشرقون ومشكلات الحضارة ، ص ٦٣ ، لكن يجب ألا نغفل فى هذا السبيل ما شهد به الكثيرون من كتاب الغرب منصفين لنبينا ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولما قام به من جهد فى ترقية البشرية وإنقاذها ، ومنهم على سبيل المثال: الكونت ليون تولستوى ، والسير وليم موير ، والسيرتوماس أرنولد ، وتوماس كارليل ، وغيرهم كثيرون ، يمكن مراجعة ذلك فى بحث قيم لأستاذنا الدكتور / عبدالفتاح شحاتة باسم " محمد رسول الله ــ ﷺ ــ فى مرآة الفكر الأجنبى " مطبعة عطايا بالقاهرة ١٩٦٢م .

(٢) عفاف صبرة : نفس المرجع ص٦٤ .

على الإسلام ، وعلى موقفه من العلوم ، الفرنسى "أرنست رينان " أحد أعضاء جمعية المعارف بفرنسا ، حيث قال : " كل من ذهب معنا إلــى المشرق أو إلى إفريقيا ، رأى أن عقولهم بلغت من الحمــق غايتــه ، حتى كأن دينهم صار كنانا على قلوبهم ، فحجبها عن أن تعى شيئا مــن العلوم والأفكار الجديدة ، فلا ترى إلا القليل من أولادهم من نشاهد فيه النبهة، لكن إذا بلغ العشر أو الإثنى عشرة سنة ، وتعلم العقائد ، صــار متعصبا فى دينه "[١] .

ولا أستطيع أن أترك عبارة رينان هذه دون أن أناقشــه فيــها. فأسأله أولا: متى ذهبتم إلى الشرق أو إفريقيا ؟ طبعا كان ذلــك فــى العصور الحديثة ، وبعد امتداد موجاتكم الاستعمارية إلى بلدان الشرق، وبعدما استوت حضارتكم التى اقتبستموها على سوقها ، فزينــت لكــم أهواؤكم أن تصفوا المسلمين بهذا . ثم أسأله ثانيا : لماذا ذهبتــم إلــى الشرق؟ تابعين لعسكركم الاستعمارى ، أم فى رحلات جلــب الرقيــق والنخاسة ؟ أم فى حملات التبشير المذرية ؟ ولا أحتاج منه فى كل هذا إلى جواب .

لأنه لن يتوارى خجلا مما يزعم ، بل هو فوق ذلــك يتمــادى ، فيصور عقيدة التوحيد فى الإسلام بأنها تؤدى إلى حيدة المسلم ، كمــا تحط به كإنسان إلى أسفل الدرك [٢] ثم يمضى " كيمون " المستشــرق

(١) عفاف صبرة ، المستشرقون ومشكلات الحضارة ، ص١٥٧ .
(٢) توفيق الواعى : الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ص ٧٠٨ .

الفرنسى على نهجه فى كتابه " باثولوجيا الإسلام" فيزعم أن الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس ، وأخذ يفتك بهم فتكا ذريعا ، بل هى مرض سريع ، وشلل عام ، وجنون ذهولى ، يبعث الإنسان على الخمول والكسل ، ولا يوقظه منها إلا ليسفك الدماء ، ويدمن على معاقرة الخمر ، ويجمح فى القبائح [١] .

ومثل هذا الكلام الحاقد والفارغ من المحتوى لن نرد عليه ، لأنه باطل يثبت التاريخ بطلانه ، لكن فقط نورد عبارتين لرجلين من بنى جلدة " رينان " و"كيمون" العبارة الأولى لـ"توماس كارليل" المؤرخ الإنجليزى، والأستاذ بجامعة كمبردج فى كتابه " الأبطال " حيث يقول: "لقد أصبح من أكبر العار على أى فرد متدين من أبناء هذا العصر أن يصغى لما يزعم من أن دين الإسلام كذب ، وأن محمدا خداع مزور، وإن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة ، فإن الرسالة التى أداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثنى عشر قرنا لنحو مائتى مليون من الناس أمثالنا [٢] ، خلقهم الذى خلقنا وهل رأيتم قط معشر الإخوان أن رجلا كاذبا يستطيع أن يوجد دينا عجيبا؟ والله إن الرجل الكاذب لا يقدر أن يبنى بيتا من الأجر إذا لم يكن عالما بخصائص الأجر والجير والحصى والتراب وما شاكل ذلك فما ذلك الذى يبنيه ببيت ، وإنما هو تل من الأنقاض ، وكثيب من

---

(١) الشيخ محمد البهى : الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى، ص٥٥ .

(٢) هذه التقديرات كانت على أيام " كارليل " ولو كان حيا الآن لوافقت تقديراته الواقع أيضا .

أخلاط المواد ، نعم ، وليس جديرا أن يبقى على دعائمه اثنـــى عشـــر قرنا يسكنه مائتا مليون من الأنفس ولكنه جديـــر أن تنـــهار أركانـــه ، فيهدم كأن لم يكن "[١].

وعلى نفس النهج تأتى العبارة الثانية فى قول " مسيوسبا ســـتيان شارلتى" : " لقد مات الشرق بموت " دارا " وعادت إليه الحياة على يـد محمد"[٢] ، فهذا هو كلام المنصفين الذين لم تعمهم نعرة العصبية ولـــم تجرفهم نزعتهم الدينية ، فراحوا يقررون الواقع كما قرأوه ، مبتعديـــن عن كل زيف ٠

على أن فريق الغربيين الذى حمل على عاتقه مهمة الطعن علـــى الإسلام ونبيه وكتابه ، تمادى فى طغيانه ، واستمرأ الغى والبـــهتان ، فراحت جماعته من جديد تدعم مقولة إن الإسلام لم ينتشــــر إلا بحــد السيف!

وتلك حيلة أخرى ، أرادوا بها التقليل من قدر الإسلام ، وبالتـالى من قيمة حضارته : وفى هذا السبيل راحوا يشبهون فتوحات المسـلمين بغزوات البربر والنورمان ، وقاسوا الصالح بالطالح ، كـــى يـــبرروا لمزاعمهم المشينة ٠

---

(١) عبدالفتاح شحاتة (الدكتور) : محمد رسول الله ـــ ﷺ ـــ فـــى مـــرآة الفكـــر الأجنبى ص١٣ ٠
(٢) المرجع السابق ص٢٥ ٠

فقد قال " غيومان لوستير " واضع كتاب " تاريخ فرنسا " : "إن محمدا مؤسس دين المسلمين قد أمر أتباعه أن يخضعوا العالم ، وأن يبدلوا جميع الأديان بدينه هو ، ما أعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين وبين النصارى ، إن هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة ، وقالوا للناس : " أسلموا أو تموتوا " في حين أن أتباع المسيح ربحوا النفوس ببرهم وإحسانهم"[١].

وعلى غرار "لوستير" جاء "نلسون" المستشرق الإنجليزى ليقول: " لقد أخضع سيف الإسلام شعوب إفريقيا وآسيا شعبا بعد شعب" ثم جاء "ليفى ليفونيان" أيضا ليزعم بأن الإسلام وتاريخه كانا سلسلة مخيفة من سفك الدماء والحروب والمذابح"[٢].

وطبعا ، ليس هذا البحث مجالا لمناقشة هذه الفرية وإثبات بطلانها ، لكنى فقط أذكر هذا الفريق، أصحاب هذا الاتجاه بأمرين . الأول منهما : أنه من الواضح فى كلامهم أسلوب التعامى عن الحقيقة، ولا أقول جهلهم بالحقيقة لأنهم يعلمونها يقينا ، ولو كانوا جهالا حقا لما عبنا عليهم سعيهم هذا ، بل ولا كان لهم أن يخوضوا بجهل فى أمر لا يعرفوه . والأمر الثانى : إحالتهم إلى نفر ليس بالقليل من بنى جلدتهم ممن تحروا الحقيقة وأنصفوا تاريخ الإسلام بدون مواربة ، وأقول لهم

---

(١) عفاف صبرة : المستشرقون ومشكلات الحضارة ص٦٥ ، الشيخ محمد البهى : الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ص٤٢٦ .

(٢) الشيخ محمد البهى : نفس المرجع ص٤٢٦ ، عفاف صبرة : نفس المرجع ص ٨٠ .

: ناقشوا إخوانكم الصادقين ، فردوهم عن جهدهم الصادق إلى إفككم وزيفكم إن استطعتم ، أو انقلبوا أنتم إلى الحق الذى علموه ، إن كان ما يزال عندكم بقية من عقل وفكر ليس بعقيم ، بل إن كنتم من الشجاعة بحيث تستطيعون هذه أو تلك ٠

ويا أهل الكتاب ، إن كنتم حقا أهل كتاب ، لو كان السيف أداة لنشر الإسلام وفرضه على الناس بالقوة ، لكان على كفار مكة أن يؤمنوا جميعا حين دخلها عليهم النبى ـ ﷺ ـ فاتحا . ثم لترجعوا مرة أخرى إلى تاريخ الفتوحات الإسلامية ، لتزيحوا عن عقولكم حجب الجهالة ، وعن قلوبكم غشاوة الظلمة والحقد ، فتدركوا أن المسلمين فى كل فتوحاتهم لم يدخلوا بلدا إلا وخيروا أهله بين الإسلام أو قبول الجزية. وهما خياران يشهدان بسماحة المسلمين ، الذين لم يكن هدفهم أبدا قهر المغلوبين على الإسلام ٠

بل اسألوا التاريخ يا أهل الكتاب ينبئكم عن إخوانكم السابقين الذين رحبوا بحكم المسلمين فى الشام ومصر والأندلس ، وقالوا للمسلمين : لأنتم أحب إلينا من حكامنا السابقين ، وأرأف بنا وأعدل ، وإنا معكم حتى ينصركم الله عليهم ٠

فوق كل ما سبق فإن فريقا كبيرا من المستشرقين قد أثبتوا فى مصنفاتهم ما يدحض هذا الزعم الاستشراقى الذى ادعاه هذا الفريق الضال المضل ، وبرهنوا بالحجة والدليل من واقع ثبت التاريخ الصحيح أن الإسلام لم ينتشر بحد السيف أبدا٠

تقول الباحثة الألمانية " أليس ليكتنس أديستر" : " إن التخيير ببلاد الفرس والروم لم يكن بين الإسلام والسيف ، وإنما بين الإسلام والجزية" ويقول توماس أرنولد : " إذا نظرنا إلى التسامح الدينى الذى امتد على هذا النحو إلى رعايا المسلمين من المسيحيين فى صدر الحكم الإسلامى ، ظهر أن الفكرة التى شاعت بأن السيف كان العامل فى تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التصديق"[١] وهذا المعنى قد تقرر أيضا عند " ول . وايريل . ديورانت "[٢] و " جورجى زيدان "[٣] ، و"غوستاف لوبون"[٤] و"زيغريد هونكة"[٥] وغيرهم .

ثم لم يقتصر هجوم المستشرقين على الإسلام ، ورسوله، وكتابه وفتوحاته وحسب! بل تعدى كل هذا إلى النظم الإسلامية التى لم تسلم من شر أقلامهم ، فراحوا يشككون المسلمين ، ويغوون غير المسلمين بالتشكيك فى عدل النظم الإسلامية ، فلم يتركوا فى هذا بابا إلا وتناولوه بالمعالجة التى تخدم مراميهم ، وإصدار الأحكام الجائرة عليه .

وكان من أهم الموضوعات التى ركزوا عليها: النظم الاجتماعية فى الإسلام ، وعمدوا إلى معالجة دور المرأة فيها ، محاولين تشويه

---

(١) عفاف صبرة : نفس المرجع ص ٨٧ .
(٢) قصة الحضارة ١٣ / ٧٣ .
(٣) تاريخ التمدن الإسلامى ١ / ٦٩ .
(٤) حضارة العرب ، مقدمة الكتاب .
(٥) شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ٣٥٧ .

الصورة الكريمة التى رسمها الإسلام للمرأة ، والإطار الصين الـــذى وضعها فيه . فزعم الزاعمون منهم أن الإسلام قد هضم حقوق المـــرأة وأسقط منزلتها ، وجعلها متاعا فى يد الرجل يتصرف فيه كيف يشاء!

وإنى هنا وفى عجالة أتوجه إلى هؤلاء المارقين بعدة أســـئلة لا أخالهم من الشجاعة بحيث يجيبون عليها هم ولا من تزيا بزيهم وأمـــن بفكرهم من أبناء الشرق الإسلامى السذج . فأسأل : تدعون أن الإسلام قد هضم حقوق المرأة ، فكيف هى حقوقها ومنزلتها عندكم ؟

المرأة التى كرمها الإسلام ، وصانها من الدنس ، وقـــرر لـــها حقوق الزوجية الشرعية والميراث ، وصانها من عبث العابثين ، مـــاذا قررتم لها غير السفور والإباحة والرق ونصف الأجر ومراتع الرذيلة؟

ثم أسأل : لماذا ركزتم جل اهتمامكم بالمرأة المسلمة ؟ والله ليس حبا فى الإسلام ولا هى زيادة فى الإنسانية ، لكنها الحاجة فـــى نفـــس يعقوب من يوم أن قررتم حرب الواقع الإسلامى فى كل صوره وعلـــى شتى المحاور ، فتبين لكم أن المرأة هى الحجاب الواقـــى لمجتمعـــات المسلمين من كل الدنـــس والشـــرور الاجتماعيـــة والمرضيـــة التـــى استحكمت فى شعوبكم ، فعز عليكم أن تكونوا علـــى مـــا أنتـــم فيـــه والمسلمون بخير ، فاقتحمتم هذا الباب ٠

وأسأل : ما الحرية التى تطالبوننا بها للمرأة ؟ ومـــن أى شـــئ تريدون تحريرها ؟ أتريدون تحريرها من دينها ؟ أم من الكرامة التـــى

أكسبها الإسلام إياها ؟ أم من ثوب العفة والطهارة لترتدى كما ترتـــدى نساؤكم العرى والفجور والرخص؟

يا سادة ، محاولاتكم مفضوحة ،وستبوء بالفشل بإذن الله ، فمنهج الله الذى نحن عليه أجدى وأنفع مما تدفعوننا إليه ، وإن شئتم تحريـــر المرأة حقا ، فحرروها من رقكم ، ومن ربقة الرذيلة عندكـــم . وإنـــا بشريعة ربنا لمستمسكون وعلى نهج نبيه وكتابه لسائرون ، والله معنـــا عليكم فهو نعم المعين ٠

الخاتمة

فى ختام هذا البحث أخى القارئ ، دعنى أؤكـد لـك علـى أن حضارتنا الإسلامية هى أرفع وأجدى حضارة عرفتها البشـرية علـى طول تاريخها ، لأنها لم تتأسس على أهواء بشرية ، ولا على نزعـات مادية ، إنما قد تأسست على قيم وأصول دينية رتبها الشارع الحكيم.

وهذا ليس كلامنا نحن المسلمين فقط ، إنمـا قـد أقـره وأثبتـه كثيرون من أبناء الغرب نفسه ، ممن صدقوا مع أنفسهم ، ولم يجرفـهم تيار الزيف والتزيد على الإسلام من أصوله إلى ثماره .

وأن هذا الصدق والعمق فى أصول حضارتنا هو الذى يجعلنـا دائما لا نتوارى خجلا فى سبيل الإقرار بأن حضارتنا قد أفادت ممـا سبقها من حضارات ، وأضافت إليه وطورت ، حتى اكتمـل بنيانـها الحضارى الإنسانى فى شكله النهائى الذى استفادت منه البشرية قرونـا طوالا.

وأن لم يقف دور الحضارة الإسلامية عند هذا الحد ، بل قـامت على أسسها ونظمها الحضارة الغربية الحديثة ، فى شـتى نواحيـها ، وهذا ما لا يود كثير من الغربيين الإقرار به ، بل يرونه عيبا وعـارا، مما يدل على أنهم لم يتحضروا نفسيا ولا أخلاقيا حتى الآن .

بدليل أنهم بدلا من يعترفوا بالواقع التاريخى والعملى الذى يؤكـد على تواصل الحضارات وتكاملها ، راحوا يفتعلون نظريـة " صـراع

الحضارات " وهى نظرية بلغت الغاية فى بطلانـــها ، ولا يمكننــا أن نعلل لفكرهم هذا سوى بأنه صراع نفسى داخلى فيهم ، دفعـــه إليـــهم الحقد، وغذته فيهم روح العصبية والكبرياء. ولن يجدوا فى سبيل ذلــك ما يؤكد ما يهدفون إليه ، لأن كل وقائع التـــاريخ تخـــالف مذهبـــهم ، وتدحض حججهم ، حتى يصرعهم الله بأفعالهم .

ولعلك تحار أخى القارئ حين تعلم هذه الوجـــهات المتغـــايرة ، وجهة النظر الإسلامية فى الحضارة الإسلامية ، ووجهة النظر الغربية المعتدلة التى يمثلها كثير من مستشـــرقيهم الذيـــن أنصفـــوا تاريخنـــا وحضارتنا ، ثم وجهه المتعصبين منهم والطاعنين المشككين . لكنـــى أيسر عليك الأمر ، وأخرجك من حـــيرتك هـــذه ، فـــأقول لـــك : إن حضارتنا كانت حقيقة غير خافية المعالم وما تزال كثير مـــن آثارهـــا ملء السمع والبصر حتى الآن . بل انظر فى هذه الوجهات الثـــلاث، تجد اثنتان منها فى مواجهة واحدة ، يتضح لك الأمر .

وهذه الوجهة المعادية الضالة عن الحـــق لـــم يغفلـــها الواقـــع الإسلامى، بل رصدها مع مطلع الإسلام ، حيث أنزل ربنا سبحانه فـــى كتابه الكريـــم عنـــها :﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾ [١] ، وقال سبحانه :﴿ إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير

---

(١) الآية : ٢٦ من سورة فصلت.

إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم ﴾ (١) .

ثم إنه من المهم جدا فى دراسة تاريخ الحضارة الإسلامية أن لا يغفل الدارس عدة حقائق ٠

أولها : أن ما يطلق عليه الحضارة العربية الإسلامية لا يقتصر فقط على ما قدمه العرب الذين خرجوا من شبه الجزيرة العربية، وإنما يطلق على ما قدمه كل المفكرين والعلماء فى البلاد التى فتحها العرب، واعتنقت شعوبها الإسلام ، وتكلمت العربية . ومن ثم فلا يجوز فى حديثنا عن الحضارة العربية التفرقة بين عالم عربى وأخر فارسى أو تركى، لأن كلا منهم نبت من نبات الحضارة العربية المزدهر ٠

ثانيا : أن ما قدمه العرب من علوم وابتكارات لا يجوز أن يقارن أو يقوم بما قدمته الحضارة الغربية الآن فى هذه المجالات ، وإنما بما كان سائدا فى عصر ازدهار حضارتهم ، وبموقع هذه الحضارة فى سلسة الحضارات العالمية الممتدة الحلقات ٠

ثالثا : أن ما قدمه العرب لم يكن مجرد نقل لحضارات السابقين، على الرغم من أن نقل العلوم عند العارفين من العلماء والمفكرين لا يقل أهمية عن ابتداعها وابتكارها، وإنما كان اهتضاما واستخلاصا وإضافة جديدة للتراث العلمى العالمى ٠

---

(١) الآيات : ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ من سورة فصلت ٠

هذه الحقائق يجب أن يعيها كل أبناء الغرب ممن يهتمون بدراسة تاريخ الإسلام وحضارته ، كما يجب أن يعيها جيل المسلمون المعاصر حتى لا تنطلى عليهم الفـوارق الظـاهرة حاليـا، ولا ينسـاقوا وراء المتشدقين من أبناء الغرب المغرورين بمنجزاتهم المعاصرة.

وأخر ما أنبه إليه هنا ، أن المسلمين ــ الآن ــ قد بات عليهم أن يعيدوا النظر فى واقعهم ، ثم يعودوا إلى تفعيل أصولهم الحضاريـة ، وهى باقية بحمد الله ، ولا يكفينا أبدا أن نظل نتباكى على ماض غـابر وزمن قد كان ، أو أن نظل نزهو بما خلفه الأجداد ونباهى به ، فما قام به السلف لا شك يستطيعه الخلف إن جدوا إليه ، ما دامت لديهم نفـس الأسس قائمة ، والأركان ثابتة ، والله لا يضيع أجر المحسنين .

ومن جهة ثانية ، فقد أصبح من الضـرورى أيضـا الاهتمـام بالخطاب الإسلامى الواعى الموجه إلى تلك الشعوب ، وأن يكون علـى مستوى الفهم الجيد الواعى وبلغتهم ، حتى تتفهم هذه الشعوب الإسـلام فى جوهره وأدواته فهما حقيقا ، وتدرك أن الإسلام ليس حربا عليـها ، ولا خطرا يتهددها كما صورت لهم أبواق الدعايات الغربية الباطلـة، وإن لم يكن هذا ، فسنظل مقصرين فى حق ديننا وفى حق أنفسنا، مـا دمنا غير قادرين على التعريف بهما .

والله مولى المؤمنين والكافرين لا مولى لهم

د. مغاوري عبيد منصور

مصادر ومراجع البحث

القرآن الكريم ٠

ابن خلدون (عبدالرحمن محمد بن خلدون) ت ٨٠٨هـ :

١ - كتاب العبر ، ترجمة د/ على عبدالواحد وافى . دار نهضة مصر . القاهرة (د. ت) ٠

الشهرستانى (أبو الفتح محمد بن عبدالكريم) ت ٥٤٨هـ :

٢ - الملل والنحل . بيروت ١٩٩٥م ٠

الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير) ت ٣١٠هـ :

٣ - تاريخ الرسل والملوك . تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم . طبعة رابعة دار المعارف بمصر ١٩٧٩م ٠

أبو الحسن الندوى :

٤ - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين . طبعة ثامنة . دار نهر النيل ١٩٨٩م٠

أبوزيد شلبى (الدكتور) :

٥ - تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى . مكتبة وهبة . القاهرة ١٩٨٦م ٠

آدم متز :

٦ - الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى . ترجمة / محمد عبدالهادى أبو ريدة الخانجى بالقاهرة ١٩٦٧م٠

بكريس إبراهيم (الدكتور) :

٧ - الحضارة الإسلامية العائدة . مكتبة الآداب . القاهرة ١٩٧٦م.

توفيق يوسف الواعى (الدكتور) :

٨ - الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية . دار الوفاء . المنصورة ١٩٨٨م.

جورجى زيدان :

٩ - تاريخ التمدن الإسلامى . طبعة بيروت (د. ت) .

حامد غنيم أبو سعيد (الدكتور) :

١٠ - مراكز الحضارة الإسلامية . مطبعة الثقافة . القاهرة ١٩٧٦م.

حسن إبراهيم حسن وعلى إبراهيم حسن (الدكتوران) :

١١ - النظم الإسلامية . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة ١٩٧١م.

زيغريد هونكة (الدكتورة) :

١٢ - شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة / فاروق بيضون وكمال دسوقى بيروت ١٩٦٩م .

شكرى فيصل (الدكتور) :

١٣ - المجتمعات الإسلامية فى القرن الأول . بيروت ١٩٧٨م.

طه ندا (الدكتور) :

١٤ - فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية . دار الجامعات المصرية . الإسكندرية (د . ت) .

عبدالرحمن حسن الميدانى :

١٥ – أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها . دار القلم . دمشق ١٩٨٠م.

عبدالفتاح شحاتة (أستاذى الدكتور) :

١٦ – محمد رسول الله ـ ﷺ ـ فى مرآة الفكر الأجنبى. مطبعة عطايا بالقاهرة ١٩٦٢م.

عبدالفتاح مقلد الغنيمى (الدكتور) :

١٧ – الإسلام والثقافة العربية فى أوربا القاهرة ١٩٧٩م.

عبدالحليم منتصر (الدكتور) :

١٨ – تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه ، دار المعارف بمصر ١٩٩٠م .

عطية القوصى (الدكتور) :

١٩ – الحضارة الإسلامية . دار الثقافة العربية . القاهرة ١٩٨٥م .

عفاف صبرة (الدكتورة) :

٢٠ – المستشرقون ومشكلات الحضارة . دار النهضة العربية القاهرة ١٩٨٥م .

عز الدين فراج (الدكتور) :

٢١ – فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية . دار الفكر العربى (د . ت)

على حسن الخربوطلى (الدكتور) :

٢٢ - المستشرقون والتاريخ الإسلامى . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة ١٩٨٨م .

على عبدالله الدفاع (الدكتور) :

٢٣ - روائع الحضارة العربية الإسلامية فى العلوم . عالم الكتب بالرياض ١٩٩١م .

غوستاف لوبون (الدكتور) :

٢٤ - حضارة العرب . ترجمة / عادل زعيتر ، طبع الحلبى بمصر ١٩٦٩م .

فتحية عبدالفتاح النبراوى (الدكتورة) :

٢٥ - تاريخ النظم والحضارة الإسلامية . طبعة سابعة . دار الفكر العربى ١٩٩٤م .

ف . بارتولد :

٢٦ - تاريخ الحضارة الإسلامية . ترجمة / حمزة طاهر . دار المعارف بمصر ١٩٨٣م .

كلود كاهن :

٢٧ - الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية . ترجمة / أحمد الشيخ دار سينا للنشر ١٩٩٥م .

مصطفى السباعى (الدكتور) :

٢٨ – من روائع حضارتنا . طبعة رابعة . المكتب الإسلامى . بيروت ١٩٨٥م ٠

مصطفى الشكعة (الدكتور) :

٢٩ – معالم الحضارة الإسلامية ، بيروت ١٩٧٥م ٠

محمد البهى (الشيخ) :

٣٠ – الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى . مكتبة وهبة القاهرة ١٩٨٥م ٠

محمد ياسين مظهر (الدكتور) :

٣١ – الهجمات المغرضة على التاريخ الإسلامى . ترجمة د/ سمير عبدالحميد إبراهيم . من مطبوعات رابطة الجامعات الإسلامية (د.ت) ٠

مونتجمرى وات :

٣٢ – فضل الإسلام على الحضارة الغربية ، ترجمة / حسين أحمد أمين، دار الشروق بالقاهرة طبعة أولى ١٩٨٣م ٠

ناجى معروف (الدكتور) :

٣٣ – أصالة الحضارة العربية . دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٥م٠

نادية شريف العمرى (الدكتورة) :

٣٤ – اضواء على الثقافة الإسلامية.مؤسسة الرسالة.بيروت ١٩٩٧م٠

ول . وايريل . ديورانت :

٣٥ – قصة الحضارة . القسم الأول والثانى من المجلد الرابع ، ترجمة د/ زكى نجيب محمود مطابع الدجوى بالقاهرة ١٩٤٩م .

٣٦ – أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوربية . دراســـــة بإشـــراف مركز تبادل القيم الثقافية ، بالتعاون مع منظمة اليونسكو ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧م .

فهرست بموضوعات البحث

الموضوع	الصحيفة
المقدمة	٢
الحضارة الإسلامية (مفهومها وخصائصها)	٦
سمات الحضارة الإسلامية ومميزاتها	١٢
صراع الحضارات أم تواصلها ؟	٢٠
اتصال الحضارة الإسلامية بالحضارات السابقة	٣٧
أثر الحضارة الإسلامية فى الغرب	٤٩
فكر الخصوم من المستشرقين عن الحضارة الإسلامية	٥٤
خاتمة البحث	٦٦
مصادر ومراجع البحث	٦٩
فهرست الموضوعات	٧٦

